بلال فضل

قصص

بَنَى بَجَم

تجليات أدبية



ميريت

بلال فضل

بني بجم
(قصص قصيرة..أحياناً)

دار ميريت
القاهرة ٢٠٠٥

"إن الذين يأكلون كبدة النصر
ليس لهم أن يأملوا في النصر"

أكرم القصاص

"من الطبيعي أن أضل الطريق
لأن الصواب كان يحيط بي من كل جانب"

بول نيومان

"سكر..حلوة الدنيا سكر"

سمير صبري

إلى إيمي..

لا أقول لك إلا ماقاله أسد الصحراء عمر المختار لجزّار فزّان الكولونيل جراتسياني:

"نحن معكم إلى نهايتكم أو نهايتنا"

بلال

جِـــــزَلْ

" وكل جرح بساعته

وكل جرح بميعاد"

لــو كنت أعلم أن حديثه سيودي بى إلى هذا البئر السحيق من الهــم لمــا كنــت استمعت إليه بتاتا، لما نظرت نحوه أصلا، لما عــبّرته علــى الإطلاق .. ولكنت تركته يطفح أكله من سكات، ليتركنى لما أستطيع احتماله من كآبة..

ولكــن هــل تملــك الضــحية الاختيار خاصة إذا كانت ضحية الأقدار؟.

عــندما جلست على القهوة لم يكن قد ظهر بعد فى الصورة. كان لابــد أن أجلس قليلا لأتحايل على أحزانى بالاستمتاع بهذا الهواء الخــرافى الــذى يصــبه البحر، وبإدامة النظر في تلك المشاكل الأنثوية المعقدة التى يطلقونها علينا فى الشوارع.

لطالمــا أحببــت هــذه القهوة، ذات الموقع الاستراتيجى، مجاورة لأفخم كافتريات الرمل، لكن الشاى فيها بنص جنيه بس، خلقها الله للمتكحوليــن من أمثالي، الكراسى مرصوصة على جانبى رصيف الشــارع الذى ينكب في البحر، تثقله هذه العمارات البديعة المبنية

فى أيام العز والمزاج، الواجهة المزخرفة والبلكونات المنحوتة الأطراف تبدو لسكان الأحياء العشوائية مثلى متحفا يونانيا مصغرا، حتى الملابس المنشورة على حبال بعض البلكونات لا تبدو مزعجة للناظرين، بالعكس تفوح منها روائح الغسيل المغسول بحب، ليس كغسيل أمى المتعجل، سامحها الله، أفسدت هذا البنطلون الأسود الحيلة، ترفض كسلا غسله لوحده فتملأه بالوبَر، حتى أنني لم أعد أصف مستقبلي بأنه أسود كالح مثل لون هذا البنطلون الذى صار " أسود فاتح " !. أرهقتنى رطرطة الأفكار، فأسندت قدمى إلى عجلة هذه المرسيدس التى ساقها الله إلى لتركن بجوارى، لماذا لم أحلم يوما بامتلاك سيارة فخمة مثل هذه، مع أنى أحلم بما هو أصعب منالا منها، والنبى تتلهى أيها الدماغ الخرب، وخليك فى الخيبة التى أنت فيها.

آه. كثير هذا على القلب، فقر وفلس- حاكم هناك فقر لا فلس فيه- وأم تقهرنى بطيبتها التى تنقلب غباء فى أحيان كثيرة ومحبوبة تعد بالإتصال والوصل فلا تصل ولا تتصل وعائلة محطمة بفعل تصاريف الزمن، ثم هذا الهيجان الذى لا يبدو أن هناك سبيلا لصرفه، من يحمل عنى كل هذا أوحتى شيئا منه ..

حضوره اقتحم همى.. لفت انتباهى إلى صديقيه العجوزين الذين كانا جالسين إلى جوارى منذ زمن دون أن يجتذبا اهتمامي.. كانا ينتظرانه.. تبادلا معه سلام العواجيز.. سلام مليئ بالمودة دون صخب أو مبالغة.. نادياه بـ "الواد جلال " رغم اشتعال رأسه شيبا.. أحدهما أصلع ضعيف السمع طلعته بديعة لم يلخبطها قلق الليالى.. والثانى ذو صلعة لامعة زانت وجهه وزادته مهابة ووقارا ومنحته درجة وكيل وزارة سيادية.. كان الأخير يتحدث بصوت عال ليسمع رفيقهما الثالث الذى كان يستعيد بعض الكلمات مكتفيا بتعليق ثابت على كل ما يسمع " ناس وسخة وأيام وسخة ".. تلاحقت العبارات الساخرة من الأصلع:-

- مكتوبه لك يا عم.. كسبت اليانصيب، ٢٨٠٠جنيه مرة واحدة ومن أول مرة.. مش كفاية شهادات الاستثمار اللى كسبتها قبل كده.. حظ معرصين.

اكتفى "الواد جلال " بابتسامة طناش.. فتح لفة جرايد غارقة بالزيت فهفت رائحة سمك مقلى..عاد الأصلع للسخرية:-

- أيوه يا عم.. زفر لنا القعدة.. جتك القرف ..إحنا هنقوم نصلى العصر.. وبعدين نرجع لك عشان نشوف اللى ورانا.

سأله ضعيف السمع:-

- ركبت قطر كام يا جلال؟

أجاب وهو مستلذ بتقسيم أرغفة العيش إلى انصاص وأرباع استعدادا لبدء الأكل:-

- ركبت من طنطا قطر واحدة إلا تلت.. حلو قوى .. باستناه من ١٢ ونص، بس إيه رأيك ميعاد حلو

- كده.. والله !

- أول مانزلت من القطر رحت مع واحد زميلى فى قاسم أمين الثانوية إسمه حامد الششتاوى.. طلعنا على بتاع السمك اللى فى محطة مصر.. قلت له إيه رأيك فى افتتاحية المنهج دى.. قال لى يا خبرك إسود سمك دلوقتى.. وقام سايبنى.. رحت جايب الربع ده باتنين جنيه ونص.. وجبت تلات ارغفة ومخلل.. أصل بصراحة نفسى رايحة للسمك.. وبعدين الكيلو بعشرة.. قمت جبت ربع وجبت ورقة يا نصيب.

قال له عالى الصوت وهو يراقب بدء دخوله فى الأكل ويتجاهل ذكر ورقة اليانصيب:-

- ده احنا جبنا بتلاتة جنيه فلافل سخنة وكلناها سوا.

لم ينتظر الانتهاء من المضغ.. مشيحا بيده:-

- يا أخى بلا فلافل بلا هم.. أنا النهارده مُسْمِك..

سأله ضعيف السمع فجأة سؤالا مصيريا:-

- وهتغسل إيدك فين يا ابنى؟

أجابه دون اكتراث : فى حمام الجامع طبعا.

نهض عالى الصوت الذى لم أعرف إسمه واستدار ليجذب صديقه من يده ثم قال عالي الصوت بصوت عال:-

- طيب إحنا هنروح نصلى ونيجى لك بس إوعى تمشى.

- لأ.. أمشى إزاى؟

- أصل إحنا قاعدين هنا من ١٢ ونص.. وإنت لسه يا دوبك بتتغدى

بدت لى جملة بايخة زاد بواختها تعليق فجائى من الأصلع:

- ده أنا شربت عصير مرتين (!)

هز المسمك رأسه غير مكترث وهو يلتهم السمك والبتنجان المخلل فى نشوة حقيقية.. انصرفا مستندين على بعضهما منحدرين مع الشارع باتجاه البحر ثم انحرفا يمينا باتجاه جامع القائد إبراهيم وهو يتبعهما بنظرات مبتسمة..

أمعنت النظر فيه سريعا قبل أن يستدير رأسه مجددا باتجاهى فلا أتمكن من تأمله براحتى..

كـــان شـــعره كثيفا شديد البياض.. ذقنه مهملة ونصف شعيراتها أبـــيض.. يلـــبس نضـــارة عتيقة تخالها ملصقة ببلاستر.. " وتى شـــيرت " رخـــيص أزرق يكشف عن لحم صدره الأملس ورقبته المكرمشـــة دونمـــا تجاعـــيد.. وبنطاله الأزرق يبدو مكويا بما لا يتناســـق مع النصف الأعلى ولا الجزء الأسفل الذى تحتله جزمة مرهقة تشكو من طول الخدمة وظلم الشوارع.

أدار وجهـــه راميا عينيه فى عينى.. ارتبكت وأشحت بوجهى عنه ..ناداني بمودة:

- اتفضل يا افندى

أربكـــني لطف النداء مع أنى ألفت لقب الأفندى اسكندرانى النكهة كلمـــا عدت إلى الاسكندرية.. فملامحى التي أظنها محترمة تتسق معها أكثر ألقاب (باشمهندس- باشا- ريس - شقيق) التى أسمعها فى القاهرة دوما.

- ربنا يخليك يا بيه.. ألف هنا وشفا

قسم جزلة سمك إلى قسمين ووضعها على قطعة عيش ومدها إلى قائلا:-

- مش بنعزم عزومة مراكبية والله.

- صادق والله يا باشا

نظر إلى متفحصاً:

- الأخ من مصر

قلت له مسرعاً:- لا.. اسكندرانى.. بس قاعد فى مصر دون أن أســـاله انطلـــق متحدثا على سجيته وهو يأكل.. كأنه كان يبحث عن متحدث يشاركه ونس الأكل:-

- مـــالكش حـــق حـــد يســـيب اسكندرية برضه .. صدقني ربنا هيحاســـبك .. لا وتســـيبها وتـــروح فين .. مصر .. كان الله في عونـــك .. أنا من طنطا.. بس ما احبش آكل السمك الجزل إلا فى المطعـــم بتاع محطة مصر.. أقول لك حاجة وما تصدقنيش.. أنا عـــامل اشتراك فى خط القطر بتاع القاهرة اسكندرية.. عارف ليه.. عشان الأكل .. لما يهفنى الشوق أنزل اسكندرية لصحابى دول اللـــى انـــت شـــفتهم.. وآكل السمك الجزل والمكرونة فى محطة مصر؟

قاطعته مستوضحاً:

- أكيد بتاكل مكرونة عند (الصاروخ)

هـــز ر أســـه مســـفها ملاحظتى: لا.. دوكهه بتاع مكرونة.. أنا قصدى السمك المكرونة.. الفراخ البلدى بقى عمرى ما آكلها غير فـــى مطعم فى مصر " عارف فين " فى التوفيقية.. أما الجمبرى

فتستغرب لما أقول لك إني ما اكلوش غير في بنها.. عند واحد بتاع سمك جنب المحطة.. لا وإيه وعنده كمان سمك المكرونة المستورد من البحر الأحمر.. بس برخيص.. في طنطا بقى ما اكلش غير في المسمط عشان أرخص.. إنما باقى الأكل هناك مش ولابد.

اندمجت فى حديثه مكتفيا بدور المستمع..

اقتربت نحونا قطة صغيرة مبهدلة الشكل.. أخذت تدور حول الترابيزة متشممة للمكان.. رمى لها قطعة صغيرة من عظم السمك.. تشممتها بكبرياء ثم ابتعدت لتقف أمام السيارة الراكنة جوارنا وبدأت فى فرد عضلاتها.

ابتسم مشيرا إلى مطعم السيد البدوي المجاور لنا قائلا:–

بالك القطة دى قنوعة عشان تلاقيها واكلة جمبرى فى المطعم ده.. الحمد لله .. لو ما كانتش جنب مطعم كانت نطت لى هنا.. بنت الحرام مش عاجبها الشوك.. مع أن الشوك.. بتاع النوعية دى عامل زى قراقيش اللحمة.. مرة جبت منه لواحد صاحبى أكل الشوك بالسمك.

استدار ناظرا إلى المطعم المجاور لنا ثم ضحك ضحكة عميقة:–

– عارف أكلة السمك دى تطلع لها بكام فى المطعم ده.. بيبجي حاجه واربعين جنيه آدينى كلتها باتنين جنيه ونص.. وفى نفس المكان.. بالعكس ده أنا قاعد فى الطراوة.. على فكرة القهوه دى كويسة قوى.. مش الشاى لسه فيها بنص جنيه؟.

هززت رأسي مجيباعلى سؤاله بنعم.. فنادى على الجرسون بصوت عال.. "كوباية ميه يا ريس"

نظر إليه الجرسون ثم اتجه نحو الرصيف المقابل ليلبى طلبات زبائن آخرين.. ابتسم جلال وقال لى بمرح:–

– الجرسون ابن الذين.. خايف يجيب لى مية أحسن الكوباية تتزفر.. بس كتر خيره.. على الأقل ماجاش يتخانق عشان قلبتها لهم مطعم.. بس لعلمك أنا باحافظ على المكان اللى باقعد فيه.. أى أكل يفضل باحطه فى قلب الزبالة

قلت له : لا.. دول ناس ولاد حلال .. هيجيب لك مية أكيد.. تلاقيه نسى.

رد على مبتسما: لا هو مش عايز.. ما هو شافنى وقال حاضر وراح داخل .. ماعادش في حد ابن حلال غيري

ثم مستدركا: وغير حضرتك فيما يبدو كده

أطــل الجرسون من باب القهوة متجها نحو الرصيف الذى نجلس علــيه حاملا كوبين من الماء.. شكره جلال كثيرا.. فطلبت لنفسى كــوب عناب.. نظرت الى كوبي الماء مبتسما .. هز كتفه مداريا حرجه ومغيرا الموضوع:

علــى فكــرة صــحابى اللــى كانوا قاعدين هنا دول طلعوا على المعاش.. كنا بندرس سوا فى طنطا.. كنت أصغر منهم بكتير بس اتصــاحبنا.. أنا فضلت فى الشغل وهم طلعوا معاش.. لسه فاضل لى ١٢ سنة على المعاش..

صمت قليلا.. وملأ فمه بلقمة كبيرة.. كان أكله غريبا.. يجمع بين النهم والرزانة .

قال مبتسما:

كويس إن ربنا هادى لى القطط هنا.. إنت عارف أنا قبل ما اركب القطــر رحــت فى طنطا لواحد بتاع فراخ كنت عايز أجيب ربع فرخة قال لى ما فيش إلا نص قلت له إن شا الله عنك ما بعت مع إن فى مصر أعرف واحد بتاع التوفيقية اللى قلت لك عليه بينزل لــى ربع الفرخة وطبق رز وطبق خضار ونص ليمونة.. كل ده باربعــة جنيه.. مش الحرامية بتوع طنطا.. بس الحمد لله السمك أبرك.

الأكــل تــبدو البركة مطروحة فيه بالفعل.. لا يبدو أنه يأكل ربع كيلو فقط مع أن الحجم يجعلك تصدق أنه ربع كيلو فعلا..

يــبدو أن احــتفاله بالأكل وانشغاله بالحكى كأننى صديق قديم له جعله شديد النهم فى أكله..هناه الله..

عاد ثانية للحكى المبتسم:

بــس عــارف عايزيــنى أمشى وياهم زى ماهم عايزين.. ولو طاوعــتهم هــيخلونى أســيب الشغل وأجرى وراهم. عارف إحنا تعرفــنا علــى بعض فى القطر برضه.. كانوا عايشين فى طنطا برضــه.. بــس لوحدهم كانوا بيدرسوا ويرجعوا كل خميس على اسكندرية. أصلهم كانوا متجوزين..

سألته السؤال الأول منذ بدأ حديثه:- انت متجوز؟

رد بعنف استغربته :- لأ.. لأ.. لأ

السؤال فرض نفسه:- ليه؟

صــمت قلــيلا وبلع السؤال بشربة ماء واستأنف الحديث دون أن يعطينى فرصة لمزيد من المقاطعة:-

- أصل ما كانش عندى شقة لغاية من كام يوم عدوا .. لسه واخد مفــتاحها الأســبوع ده.. بعد ٢٠ سنة خدمة خدت شقة فى طنطا بـــ ٨ آلاف جنيه مقدم وإيجار ٩٠ جنيه.. قعدت سنين أدور على

شـــقة رخيصــــة فى القاهرة واسكندرية وطنطا.. اللى خلانى آخد الشـــقة دى إن بيـــنها وبيـــن القطر ٧ دقائق بس.. عشان أسافر براحتـــي كـــان عندى ورث فى بيت فى القاهرة بعته ب ٥ آلاف وقلـــت أعـــيش فـــى طنطا.. كسبت اليانصيب قمت شارى الشقة وكتبت عقدها.. شقة حلوة فى بيت اصحابه عشريين.. مارضيتش اسكن فوق السطوح.. أصل أنا عشرى وأحب الناس.

قطـــع حديثـــنا قفزة مفاجئة للقطة فى محاولة للصعود على مقدمة الســـيارة.. لم نفهم سر قفزتها إلا عندما طار من الشجرة الصغيرة المجاورة لنا عصفور صغير عاودت القفز مجددا إثر طيرانه..

قال معلقا:-

- شـــايف القطـــة يـــاعم مـــش عاجـــبها الشوك وعايزة تصطاد عصفور.. عندها طموح.. الفاجرة.

كـــان قد انتهى من أكله دون أن يترك باسم الله ما شاء الله سوى قليل من الشوك وبعضا من فتات العيش..

بـــنظام طـــوى ورق الجرائد على بواقى أكله ووضعها فى كيس بلاســـتيك التقطه من الأرض وأغلقه بإحكام ومسح يده فى منديل محلاوى نضيف أخرجه من جيب بنطلونه.. باس يده وجها لظهر

وأكمل شرب الكوب الثانى من الماء وزعق طالبا كوب شاى.. لم يبد عليه أنه مدخن..

زحـــف بكرسيه قليلا نحوى وواصل حديثه دون أن يبدو أنه كان قد توقف:-

- إنـــت عـــارف.. أنا لازم اتجوز.. واجرب النظام ده.. هاصبغ شعرى.. ولو مالقيتش عروسة.. هاخلى إصحاب البيت يجوزونى.

صمت قليلا ليعبث بأظافره فى أسنانه ثم استأنف:-

- علـــى فكـــرة الواحد ما بيصليش بانتظام إلا لما يبقى متجوز.. وبعدين هو أنا لو كنت متجوز كنت أجرى وراء الأكل كده.

تملـــك الحزن من حديثه فاتصل همه بهمى وبدا كأنه عشرة عمر قديم يشاركنى خيبتى ويحكى بلسانه وجعى:-

- إذا لقيـــت واحـــدة كويسة هاخدها تعيش معايا فى الشقة ومش هـــاكل غـــير من إيديها.. ما فيش آدينى عايش فى الشقة لحد ما اموت.. ما أنا قلت لاصحابى أنا خلاص خدت الشقة اللى هاموت فيها.

تـــنهد بعمق ثم قال جملة واحدة صمت بعدها مليا.. لينشغل بتقليب كوب الشاى الذى حضر للتو :-

- أصلى هاعمل إيه يعنى.

رشف رشفة من كوب الشاى ثم قال لى مشيرا إلى شعره دون أن يلمسه:-

- عارف أنا شعرى شايب من وأنا عندى ٣٠ سنة.. وبعدين من ٥ سنين لما ابتديت أرتاح نفسيا ابتدا يسمر شويه.. ساعات أقول يارب سود لى شعرى.. أصل ما عنديش طولة البال عشان أصبغه.. إنت عارف فى ناس يقولوا لى إنت أصغر من سنك وناس يقولوا لى العكس.. لعلمك أنا متهيأ لى شعرى شاب من كتر الناس اللى شفتهم بيموتوا على السكة الحديد.. هو أنا قلت لك إني ساكن قريب من شريط القطر .. لسه وأنا جاى شفت واحد اتقتل.. كان بيجرى ورا واحد تانى بمطواة عشان يغزه .. اتكعبل على شريط القطر والقطر خده.. اتفرم وقعد اللى كان بيجرى منه يلم فى اللى فاضل منه وهو بيعيط ويصرخ.

فرضت الصورة القاسية مزيدا من الكآبة والحزن على المكان.. لو كنت أعلم أن حديثه سيفضى بى إلى هذا البئر السحيق من الهم لما استمعت إليه.. لكن ظرف حديثه خدعنى فى البداية..

لم يشأ أن يرحمنى إلا للحظات رشف فيها رشفة من كوبه وعاد لتعذيبى:- إيه رأيك أجرب الجواز؟

لم ينتظر إجابتى وواصل حديثه :-

- إنت عارف صاحبى اللى كان قاعد هنا.. اللى كان بيزعق ده.. اتجوز مرتين بس بيقول لى من يوم ما عرفته إوعى تتجوز هيتخرب بيتك.. المهم إنه بيقول إنه اتجوز مرة تالتة. مع إن عمرى ما اتصلت بيه ورد على صوت حريم.. واضح إنه مستفرد بنفسه وسايب عيلته.. إنما الأقرع اللى كان قاعد هنا ده متجوز مرة واحدة ومراته قربت تموت.. عندها الخبيث بعيد عنك..

قبل أن يرشف الرشفة الأخيرة من كوبه سرحت عيناه طويلا باتجاه البحر وهو ممسك بالكوب قريبا من يده..

لمعت عيناه وهو يلتفت نحوى وقال كمن توصل إلى قرار حاسم:-

- بس أنا رأيى الواحد يجرب كل حاجة.. حتى فى الآخر يجرب الانتحار بقى عشان الحكاية تخلص.

انقبض قلبى أو لعله تحطم أولعلى بكيت أو أوشكت أن أبكى.. بينما رشف هو آخر ما بكوبه من شاى .. وأنزله بقوة على الترابيزة.. ثم إنه لم ينطق بحرف ولم يلتفت نحوى.. كأنه لم يرانى أصلا.. وكأنه لم يكن قد أمضى الدقائق الماضية التى لا أعلم عددها يحدثنى ضاحكا وشاكيا.. وكأنى كنت جزءا من

طقــوس طعامه وشربه الشاى فلما انتهى انتهيت، وانتهت حاجته إلى..

أمعنت النظر إليه لعله يلتفت فلم يفعل.. هممت بأن أحدثه فاختنق صوتى بحشرجة مرة.. أخذ يفرك يديه محدقا فى المجهول..

لــم تجذب انتباهه نحنحاتى المتتالية ولا مدى يدى نحو كوب الماء المستقر إلى جوار كوبه الممتلئ ببقايا الشاى.

مــن مطلع الشارع المنحدر أطل صاحباه مستندين إلى بعضهما.. تــبادلا معــه الابتسامات والتعليقات التى لم أسمع أغلبها.. واصل تجاهلــه لى.. مع أنى تمنيت أن يستدير إلى ليسألنى عن إسمى أو يعرفــنى بصاحبيه أو يقول لى أى شيئ عله يكفر عن ما ارتكبه بحقى من تعذيب.

قال عالى الصوت:- إنت ليه ما بتصليش ياأخى.

رد بهدوء:- أغسل إيدى وأصلى.

قال الأصلع ضعيف السمع:- أنا عايز أركب الترام أبو دورين

- هو آخر خطه فين
- قوم بينا وأنا أقول لك
- والقهوة؟
- دى بتاعتنا وناسها أصحابنا.. هنرجع لهم

قــام إلــيهما حاملا كيس بواقى الأكل.. أشار عالى الصوت إلى الجرســون زاعقــا " راجعين تانى يا إبنى " ودون أن يلقى حتى السلام علىّ أو حتى يلقي علي نظرة أي نظرة. ذهب الواد جلال المسمك شريكى فى الحياة طيلة الدقائق الماضية.

انحــدر الــثلاثة ســويا مع الشارع منعطفين باتجاه مسجد القائد ابراهيم وانحدر حزن كبير لعله مليئ بالدماء على خدى.

الإسكندرية ١٩٩٩

عندما انفضح الشيخ عرفة فضيحة القطط على المنبر!!

"وكم ذا بمصر ...

ولكنه ...."

فى حياتى كلها لم يصدق على أحد عرفته أنه فضح فضيحة القطـط مثلما صدق ذلك على خطيب جامعنا المسكين- المسكين هنا عائدة على الجامع لا على الخطيب - .

والحـق أن الخطيـب المذكـور كان يستحق فضيحة أكثر دناءة وقـبحا.. فضـيحة الصراصـير مـثلا لو كانوا قد ضبطوا لها فضـيحة.. أو قل مثلا فضيحة ذبابتين قتلهما طفل وهما تمارسان الجنس الفموي..

الشـيخ عـرفة.. هذا إسمه الذى (اتزلط) إلى الدنيا به مع أنه لا علاقة له لا بالمعرفة ولا بالعرفان..

فـى أوقـات الصلاة الخمس وقبل إقامة الصلاة تجد الشيخ عرفة خارجـا من غرفة الإمام التى يجاور بابها المحراب.. ناظراً إلى المصـلين شـزرا بعينه الوحيدة الصالحة للاستعمال - لم تذهب الثانـية من كثرة البكاء من خشية الله بل ذهبت فى مشاجرة أثناء إحدى موائد الرحمن - يعطى الجميع ظهره ثم يستدير فجأة بعنف

ليصيح (كله يحفظ متاعه أمامه.. لا نريد قيلا وقالا فى مسجدنا.. جـــزاكم الله خيرا.. أولاد الحرام كثير).. هكذا كل يوم ٥ مرات حـــتى عندما يصلى الفجر فى الشتاء مع أربعة من العجائز الذين يقـــوى الواحـــد مـــنهم بالكاد على حمل نفسه ناهيك عن حمل أى مـــتاع.. وحـــتى وبعد أن تجرأ أحد زوار مسجدنا العابرين وسأل الشـــيخ عرفة عن حكمة الصياح بصوت عال قبل الصلاة ومدى جـــدواه فـــى منع سرقة المتاع من المسجد.. أرغى الشيخ عرفة وأزبد.. لكنه فى اليوم التالى أدرك أن صياحه اليومى غير كاف.. وانـــتدب طالـــبا مـــن مدمنى الصلاة أيام الامتحانات ليكتب له ٤ لافتات بخط بارز وصارخ كتب فيها عبارة (حافظ على متاعك) وعلقهـــا فـــى مداخل الجامع الأربعة.. أثارت اللافتات ردود فعل عديـــدة كان أجرأها همهمة سرت فى الصفوف الخلفية بمنأي عن جعـــير الشـــيخ عـــرفة الذى ينعى إلى الله دائما قلة أدب الأجيال الجديـــدة الملعـــوب في أساسها طبقا لتعبيره.. سرت الهمهمة من شـــاب زائـــر للجامع لأغراض عاطفية ــ هى باختصار مصادقة الحـــاج حسن أبو محبوبته الذي يصلي الفرض بفرضه حاضرا ــ ثـــم أصـــبحت الهمهمـــة إفيها يردده بعض الشباب البذئ داخل المسجد.. كانت الهمهمة قد استبدلت حرف الميم فى عبارة الشيخ

عرفة بحرف الباء .. والحمد لله أنه لم تصل الجرأة إلى استبدال الحـــرف فـــى اللافتات كبقية من احترام لبيت الله وإن صار من المألوف أن تسمع بين الحين والآخر ضحكة رقيعة المغزى تصدر بالضرورة عن مصل يصلي لأمر كان يطلبهُ وصله الإفيه للتو. شـــيئا فشـــيئا أصبحت اللافتات جزءا من المظهر الثابت لجامعنا المـــنكوب.. وكنت من القلائل الذين أدمنوا انتقادها حتى آخر يوم تركـــت فـــيه الصلاة بالجامع والانتقال لجامع آخر يبعد كثيرا عن مسكني..

ولم يحدث ذلك إلا بعد خناقة ضارية مع الشيخ عرفة.

كنـــت قد دخلت إلى الجامع متأخرا لأداء فرض العصر.. التحقت بجماعة ثانية بدأت بخمسة أفراد وانتهت بحوالى ٢٠ مصليا.. كان الشيخ عرفة قد استفرد باثنين من أرباب المعاشات ليبخ في آذانهم مـــن غزيـــر علمه الذى يكفيك لإدراك مدى غزارته أن تعلم أنه خصـــص خطـــبة جمعة كاملة للثواب الذى يمنحه الله لمن يحسن معاملة الإماء والجوارى والعبيد وفضل إعتاقهم لوجه الله – لاحظ أن هـــذا حدث فى عام ١٩٩٤.. تسعمائة..هه– . ولو كان حديث الشـــيخ عرفة هذه المرة بصوته (الجاعورى) ونحن نصلى عن الـــرق والجـــواري لهان الأمر لكنه اختار لأجل حظنا التعس أن

يتحدث عن آداب جماع الرجل لامرأته وحكم الوطء فى الدبر.. كان ضده بالمناسبة.. فنحن نذكر الحوار كاملا لأننا لم نفقه من صلاتنا شيئا.. كلنا بلا استثناء كما عرفت فيما بعد.. خذ عندك أبسط دليل أن إمامنا سلم بعد ٣ ركعات ثم قام للرابعة بعد أن نبهناه ثم نسى سجود السهو قبل أن ننبهه ليسجد السهو ثم ينسى أن يسلم .

بعد سلام سجود السهو اندفعت واقفا والدم يغلى فى عروقى وصحت:-

- حرام عليك يا شيخ عرفة.

وبسحنة تبلدت ملامحها رد على:-

- خير يا أخويا.

- ما يصحش كده يا شيخ عرفة..حبك الكلام عن الجماع دلوقتي .. ما قدرناش نركز فى الصلاة.

- وذنبى إيه إن إيمانك ضعيف.

- ما فيش داعى للغلط يا شيخ عرفة.. ده إنت المفروض تبقى قدوة.. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا يشغلن قارئكم مصليكم).. ده قارئكم للقرآن.. ما بالك بواحد بيكلم الناس عن اللى لا مؤاخذة مش عارف إيه بيعمل إيه في مراته..

انتفض الشيخ عرفة كمن عضته سلعوة.. كان واضحا أنه يسمع لأول مرة عن الحديث الشريف الذى قلته.. غاظه تجمهر الناس مؤيدين لما قلت فاندفع صائحا فى لهجة اختفت فيها كل النبرات التى تمت للدين بصلة مؤكدا سجله المهنى ومتحدثا بطريقة البلطجية. (كاره القديم على مايبدو طبقا لتهامس البعض الذين حلفوا على المصحف أن عرفة لم يحصل على ترخيص من وزارة الأوقاف للخطابة متمنين على الله أن يجد أحد المصلين وقتا للذهاب الى الوزارة للإبلاغ عنه).

قال عرفة والشرر يطق من عينيه:-

الله الله يا بتاع إنت.. ما تيجى تقعد مكانى أحسن.. وتفتى فى الجامع بتاعى.. لا يا خويا أنا أقول اللى يعجبنى ما دام شرعى ولا مؤاخذة.

قالها عرفة قبل أن يندفع ممسكا بزمارة رقبتي لأمسكه بدوري من قفاه.. كان يمكن أن تنتهى مناقشة حكاية (شرعى ولا مواخذة) هذه فى قسم الجيزة.. لكن صديقا قديما أنقذ الموقف بسحبى خارج الجامع وتكرم بأن أسدى الي نصيحة بأن أترك الصلاة في الجامع لكي لايضعني الشيخ عرفة في دماغه مثلما فعل أكثر من مرة مع مصلين آخرين كان يحرص على مضايقتهم بوسائل شتى أهونها

التنبيط عليهم في خطبه ومواعظه.. طمأنت صديقي أنني إذا كنت لن أصلي في هذا المسجد ثانية فلأنني لاأقبل الصلاة خلف إمام جاهل كالمسمى زورا بعرفة ..

انقطعت عن الصلاة في المسجد ذاهبا الى مسجد آخر أبعد قليلا.. وبعدها عرفت أن الشيخ عرفة ألقى بعد صلاة المغرب في ذات يوم خناقتنا خطبة عصماء لعن فيها خريجى الجامعات الذين حلت عليهم لعنة الله فطمس على قلوبهم غواشة - أقسموا لي أنه قالها هكذا - .

ومرت الأيام التي مايعلم بيها إلا ربنا .. واستمر جامعنا كما هو تحت سطوة الشيخ عرفة.. كل يوم وأنا ذاهب إلى عملى أجده جالسا فى مقعده الأثير تحت شجيرة أمام الجامع مرتديا بدلته الصيفية الكالحة التي يبدلها عند الأذان بزى أزهرى يقولون أنه اشتراه من ورثة خطيب الجامع السابق الذى مات منذ عامين.. وآخرون يقولون أنه سرقه.. دائما فى نفس الوضع.. عقب سيجارة مدفون فى فمه يشده بحرقة وهو يحدق فى المجهول ويهز رأسه فى إيقاع منتظم.. خلقته الكئيبة تبدد كل أمل فى (انصلاح) الحال. لكن عدالة السماء لابد أن تنزل لزما وحتما على استاذ باليرمو .. كان ذلك عندما جاء اليوم الذى توافق فيه يوم عيد

الفطر مع يوم جمعة، والذى أصبح يوما مشهودا فى شارعنا حتى الأن. كان يمكن لهذا اليوم أن يمر فى هدوء لولا طفاسة الشيخ عرفة ونتانته.

كان عربى ومحمود وعبد الله أصحاب ورش النجارة المجاورة للجامع والمطلة على شارعنا قد عزموا أمرهم على أكلة فسيخ متينة وكاملة من مجاميعها مثل البصل والملانة والليمون والذى منه.. ولأن الشيخ عرفة يعرف جيدا تحريم الاسلام من وجهة نظره لعدم قبول دعوة المسلم حتى لو كانت على شقة طعمية محروقة.. فقد كان أول الملبين والمشاركين كعادته دائما.. ورغم أن البعض حاولوا /ليس تدينا منهم بقدر ما كان حرصا على طعامهم/ أن يلفتوا انتباهه إلى التقليل من الطعام أو حتى على الأقل التخفيف من التهام رؤوس البصل الأخضر أبو شوشة لكى يستطيع أداء الخطبة دون أن يكبس عليه الوخم .. لكن الشيخ عرفة رد وبقايا الفسيخ تتناثر على ذقنه المشعثة بأنه يستعين بالطعام على طاعة الله سبحانه وتعالى.

كبس الوخم بالفعل على الشيخ عرفة بعد الاكل ليوقظوه متعجلين قبل نصف ساعة من الخطبة.. (طس) وجهه بقليل من الماء وتوضأ مسرعا ثم صعد إلى المنبر لتبدأ وقائع أسود يوم فى عمره

بالتعثر فى الدرجة الثانية من المنبر.. بعد أن (لموا) الشيخ عرفة من الأرض حاول التماسك بصيحة طويلة (وحدوا من لا يسهو ولا ينام). وبدأت الخطبة وياليتها ما بدأت.

لم يكن الشيخ عرفة قد أعد شيئا ليقوله فىالناس.. لكنه اجتهد على قدر طبقات صوته فى الصياح وبدأ الخطبة بالعبارة التي يرددها كل عيد صغيرا كان أم كبيرا .. عيد كحك كان أو عيد لحمة .. (ليس العيد لمن لبس الجديد ولكن لمن خاف يوم الوعيد) .. فجأة فوجئ به المسجد يصرخ بصوت عال كأنه يطرد النوم عن عينيه مكررا (ليس العيد لمن لبس الوعيد... ولكن لمن خاف يوم الجديد) .. وعندما ساد الهرج بين المصلين الذين حاولوا كتم ضحكاتهم على إثر غلطة الشيخ عرفة..عندها صمت الشيخ عرفة وبعدها افتضح فضيحة القطط.

حتى الآن عندما يروى أهل جامعنا ما حدث يختلفون حول عدد الأصوات التى أسكتت المصلين ثم هزت الجامع بالضحك ثم كتبت نهاية الشيخ عرفة.البعض يقسم أنها جاءت متتابعة ومتساوية فى مددها الزمنية.. بينما يقسم آخرون أن واحدة جاءت فى المنتصف متميزة عن أقرانها زمنا وأثرا. لكن الجميع أجمعوا على أنه ليس من سمع كمن شم.. وأن تهوية الجامع استغرقت

يوما كاملا.. بينما استغرق الناس بضعة اسابيع حتى اختفت بينهم ظاهرة كريزة الضحك الفجائية أثناء الخطب..

اختفى الشيخ عرفة ذاهبا الى حيث ألقت ولم يعرف أحد إلى أين ذهب ولا الى أين ألقت.

أصبحت الصلاة بالتناوب بين عجائز المسجد أنصار مدرسة قصار السور.. وتولى عم صبحى مهمة الخطبة التى كان يقرأها كل جمعة من كتاب الخطب المنبرية الذى جاء به من السعودية فى رحلة حج .

بقيت لافتة (حافظ على متاعك).. وبقى جامعنا.

الجيزة ــ شارع المحطة

١٩٩٥

صخرة الكومبو

" لكل شيئ إذا ماتم نقصان

فلايغر بطيب العيش ...حيوان"

لم أدر بنفسى إلا وأنا داخل المطعم الفخم ذى السمعة الأفخم.. ربمــا أغرتــنى الانتعاشـــة الطبقــية المفاجئة على ارتكاب هذه الحماقــة،لم أكن أعرف شيئا عن أسماء الأكلات ولاأسعارها، لكن استعمال حداقة الفقراء الذين يسمونهم بــ(أولاد البلد) حرصا على عــدم جرح مشاعرهم جعل الأمور تمر بسلام.. دفعت ٣٠ جنيها مــرة واحدة ثمنا لــ٤ سندوتشات تقارب فى حجمها الكحك الذى تصنعه جدتى..

كــل هذا لأن الرجل سألني بعد أن طلبت سندوتشات الهامبورجر الأربعــة "حضــرتك عايزهم كومبو" ولأنني لم يحصل لي شرف الــتعارف على كلمة كومبو خلال سنوات الدراسة العامرة أجبت خائفا من أن أصرح بجهلي : "آه طبعا".

قلت لنفسى "تجربة إنسانية تفوت ولا حد يموت"، استدرت هاربا مــن نظــرات عامل المطعم الذى يكبت ابتسامة ساخرة تريد أن تقــول لى لولا خوف من المساءلة "إنت إيه اللى جابك هنا.. مالها

عربيات الكبدة والسجق اللى بآكل أنا وانت فيها آخر النهار".. قبل أن أغادر المحل نادانى قائلا "مش تاخد الحاجة الساقعة بتاعتك يا بيه" فجأة وجدتنى على الكورنيش أمام المحل أحمل كيسا ورقيا به سندوتشات تقارب فى حجمها الكحك الذى تصنعه جدتى و ٤ أكواب ورقية من الحاجة الساقعة، كيف سأشرب كل هذه الأكواب، كان منظرى وأنا أسير نحو صخرتى المفضلة فى شط ستانلى حاملا ماأحمله مثل عامل توصيل طلبات لا يرتدى (اليونيفورم).

وصلت إلى الصخرة المنعزلة التى أجلس عليها دائما متأملا في الهيولي لعلي أفهم الحياة أكثر، أبهجتني رؤية فتاة جميلة تجلس قريبا مني على حاجز خرسانى خلف الصخرة، آثرت الجلوس بعيدا من الصخرة حتى تنصرف الفتاة، أخذت الفتاة تنظر إلى باسمة، عذرتها فهى تظننى رجلا مجنونا وشرها، وإلا ما تفسير كل هذه الأكواب التى أضعها بالقرب منى، غالبت خجلى الغريزى تجاه الجمال، رفعت كوبا وهززته باتجاهها، وقلت لها "تفضلى" .. الغريب أنها تفضلَت وأنا.. أنا الذكر كنت خجلانا عندما تفضلَت، اقتربت منى بجسمها الألذ كثيرا من السندوتشات التى تقارب فى حجمها الكحك الذى تصنعه جدتى، دون خجل أخذت كوبين وقالت لى "شكرا يا ذوق" استدارت حاملة الكوبين ترجرجهما تثنياتها

التى لا تحتمل، أخذت كوبا فى يدها وأسندت الآخر فى مكان ما خلف الحاجز مرت النصف ساعة التالية وأنا أفكر متعجبا هل ستقدر لوحدها على شرب كل هذه الكمية من الحاجة الساقعة، ثم مرت النصف ساعة التى تليها وأنا أفكر فى طريقة للتمحك فيها ولو حتى من باب رد الجميل.

مرت ٥ دقائق، هممت بعدها بالنهوض متجها اليها ..

لكنها هى التى نهضت فجأة، واستدارت بجسدها لتنتقل إلى الطرف الآخر من الحاجز الخرسانى، وقبل أن تقفز وبينما كنت أنا مشغولا بإيجاد توصيف لونى لفخذيها الذين انحسرت "الجيبة" عنهما، استدارت بيديها وكأنها تلتقط شيئاما خلف الحاجز، ظننتها ستعيد لى الكوب الذى لم تشربه، أخذت أفكر فى ما سأقوله لها، وكيف سأتخذ من الحاجة الساقعة مدخلا لتفاصيل غير "ساقعة".

دخلت المشهد فجأة يد أمتدت من خلف الحاجز، لحقت بها بعد قليل يد أخرى، أصبحت أو بلفظ أدق أمست اليدان فجاة جسد شاب وسيم ضاحك، يشد الفتاة إليه وهى تحاول جذبه ليصعد فوق الحاجز ، ارتمت بمزاجها عليه وكأنها فشلت فى جذبه لتسقط فى أحضانه خلف الحاجز، بينما ارتفعت رجلاها عاليا فى الهواء، لأنسى كل ما كنت أفكر فى قوله لها، وليصبح نصيبى من المشهد رؤية كل التفاصيل التى تتعب كثيرا كشاب هائج لتراها، وفى

الغالب لا تراها جيدا لأنها تكون مرتبطة بهبة من تيار هواء عنيف، أوقشرة موز ملقاة فوق رصيف، أو عربة ميكروباص عالية على فتاة ذات جيبة قصيرة تحاول الصعود ..

أخذت راحتها فى أحضانه وأخذت عينى راحتها فى أحضان فخذيها، أصبحت أو بلفظ أدق أمست الساقان المصيبتان فجأة واقفتين أمامى منفرجتين بينما لازلت أراهما بعين خيالى ملتصقتين ببعضهما، دخل في الكادر ليشوش جماله وجه الشاب صاحب النصيب في شُرب كوب الحاجة الساقعة ، مد يده الكريهة لى مصافحا وقال بحرارة "متشكرين قوى على الحاجة الساقعة عقبال ماتشربها فى فرحك" ضحكت الفتاة بدلع وجذبته من ذراعه دون أن تكلف خاطرها وتعبرنى بكلمة، ولو حتى من أجل خاطر الحاجة الساقعة، فى اللحظة التى فكرت أن ألتفت فيها لمراقبتها وهما يبتعدان، سمعت صوت دحرجة كوبين من الورق المقوى على الصخرة، كان واضحا أن الهواء سيحملهما ليعانقا موج البحر قبل أن يغيبا فى أعماقه. وكانت الصخرة المنعزلة لا تزال فى موضعها تتحدى الموج والريح، وكنت أنا عاجزا عن إكمال الكوب الرابع من الحاجة الساقعة، ومنتظرا لفتاة جديدة أهديه لها لتقاسمه هذه المرة مع شاب مُبخت يقتحم حياتى من خلف الحاجز الذى أجلس وراءه محدقا في الهيولي لعلي أفهم الحياة أكثر.

الإسكندرية
١٩٩٨

"إذا كانت الخطابات العاطفية لا تجدى مع ساكنات الخليفة ودوران شبرا وغبريال.. فلماذا لا نكتبها إذن لساكنات مانهاتن ودوران بيفرلى هيلز.. مادامت الحكاية تحصيل حاصل".

خطاب "open" إلى مدام جوليا روبرتس

"حتى ياقلبي الحزن ماعادش فيك
معلشي معلشي لك يوم برضه راح تتملا"

عزيزتى.. جوليا روبرتس..

كنت أتمنى أن تكون لدى الجرأة لأقدم نفسى إليك فى خطابى هذا بوصفى واحدا من أثرى أثرياء منطقة الشرق الأوسط الذين يتابعون بمزيد من الإعجاب مسيرتك الفنية المبهرة.. وأدعوك أنت و"يورفريند" الذى يقولون أن إسمه الآن بنجامين برات – لقضاء أسبوع كامل فى منتجعات مصر السياحية وركوب الجمل فى الهرم (أو الجمال فى الأهرامات من باب التعظيم) والتخطيط لانتاج فيلم مشترك مع شركة رينيسانس للسينما التى أملك أغلب أسهمها والتى تديرها زوجتى النجمة المصرية الشابة جيهان فاضل والتى تملك قبسا من نورك..

لكن الحقيقة أن ضغطة واحدة منك على زرار فى المدعوق الانترنت، يالغبائى، وكأنك ستكلفين نفسك عناء ذلك، سيقوم به بالطبع واحد من معجبيك العتيدين فى السى آى إيه والتى يقولون أنها تمتلك ملفات بها حتى مقاسات ملابسنا الداخلية –المخروقة

غالــبا- وبالطــبع ستعلمين إن عاجلا أو آجلا أننى جلست لأكتب إلــيك هذا الخطاب فى شقة حقيرة من شقق شارع الفاتح بالجيزة على ترابيزة الأكل التى لازال يرقد عليها سندوتش بطاطس بوريه نجا من عشائى المتأخر، يتمشى أمامى برص وصرصار، تعرفين الأخــير أمــا الأول فــلا أظنك قد سمعتى عنه، لا أحسب أن الله رزقكم أبراصا فى أمريكا..

بيلــيف مــى.. لاأعــرف لماذا أكتب إليك خاصة أننى لا أعرف عــنوانك ولا يحــزنونى.. ولاأثق فى العناوين التى ينشرونها فى مجلــة الشــباب لــك وللاخــوة زملائــك - أحــس أن محررا مــا"يضــربها"على القهوة- بالتأكيدلك "إى ميل" أو"إى ميلى" كما يسميه صديقى عديم الكمبيوتر.. لكننى لاأعرف.. وحتى لو عرفته فلــن أجرؤ على الذهاب إلى الواد محمد عبدالكريم .. الوحيد ذو الكمبــيوتر بين من أعرفهم .. لأستسمحه فى إرسال"إى ميل" لأنه محدث نعمة ولولا دخوله النيابة الإدارية بالصدفة حيث يحصلون على الكمبيوتر ببلاش تقريبا، لاستمرفى قضاء أوقات فراغه معنا على قهوة الأهلى والزمالك بشارع المحطة.. بالمقابل أجد صعوبة فــى الذهــاب إلــى"إنترنــت كافــيه" لأرســل إلــيك هــذا الخطــاب..فالموظفون غالبا مايحملقون فى ما نكتبه ونشاهده على

الشاشــة..يخافون علينا من الفتنة ودخول مواقع السيكس- يابختكم فــى أمــريكا طبعا.. بتنطوا على بعض براحتكم. آسف على هذا الاستطراد العفوى. فكما تعلمين.. الهيجان وحش..

المهم. أكتب لك على أمل ضعيف أن يصلك الخطاب. عندما يقوم أحد أصدقائى من الصحفيين الفنيين- غالبيتهم لدينا ليس لديهم ذمة كمالديكم فى هوليود- ما علينا وعدنى صديقى الصحفى الشريف- لكــى لا يــزعل لو قرأ الخطاب كما أتوقع - بأن يعطيه لصديقه الممــثل الشــاب خالدالنبوى الذى صرح مرارا وتكرارا أنه تلقى عروضــا كثــيرة للعمــل فــى هوليود وأنه سيسافر إليها قريبا، ولاأدرى هل ينخع علينا فى مصر ليعلى سعره أم أن ذلك حقيقى، عمومــا هــو فنان كويس وأتمنى أن لا يزعل لو قرأ هذا الكلام عندما يفتح الخطاب كما أتوقع، وأتمنى إذا حصل النصيب وقابلك لتســليم هــذا الخطــاب أن تأخذى بالك منه، فهو غلبان وغريب وستكســبين فيه ثوابا حتى لو أزعجك بطلبه أن يمثل معك فى أى فيلم من أفلامك.

مــنذ قلــيل انتهيــت مــن مشاهدة آخر أفلامك التى نزلت عندنا فــيديو..يسمونه فى السوق عندنا"العروس الهاربة" وهو قريب من إســمكم الأصلى.. إحمدى ربنا أنهم لم يسموه"شراسة القط الأسود

الجزء الخامس" فالناس عندنا تحب أفلام الرعب والضرب ومحمد هنيدى..

الغريب أننى قرأت موضوعا عنك فى مجلة(نيوزويك) التى أصبحت تباع لدينا بالعربى لزيادة التقارب بين شعبينا الصديقين، يقول كاتبه أن أن الفيلم كان طويلا ومملا وثقيل الظل، والحقيقة أننى تمنيت أن أتف على وجه هذا الكاتب انتقاما لك ولفيلمك الساحر الذى عذبنى وأبكانى برغم محاولاتى التماسك حرصا على صورتى فى القهوة التى كنت أشاهد فيلمك فيها(نسميها مجمع صالات هيلتون الناصرية لأن بداخلها ٤أجهزة فيديو يعرض كل منها فيلما مختلفا). للأسف لا يحب نزلاء القهوة افلامك كثيرا لأسباب متعلقة بموقفهم من الرومانتيكية.. إيتزنوت بيرسونال.. هم يفضلون زميلك فان دام وزميلك جاكى شان وزميلتك سنتيارورزوك وزميلتك المصرية جالا فهمى- التى مصرت مرة فيلمك "بريتى وومن" فجعلته يليق بنا فعلا- المهم أن ذلك اضطرنى لتأجير الفيلم من نادى الفيديو ودفع ٥جنيه للمعلم ليسمح لى برؤية الفيلم داخل القهوة.. كأن الجمع حاشدا فى البدء لكنك خيبتى آلامال هذه المرة بملابسك المحتشمة.. ولم تلاقى حماسا إلا عندما بدأ مشهد عرس هاواى الذى ارتديتى فيه البكينى. فأسعدتى

أمسية عشرات الشقيانين من زبائن القهوة الذين بالتأكيد يحلمون بك الآن مثلى. مع اختلاف الطقوس.. هم يمارسون أحلامهم بما هو أكثر جدية من الكتابة وهو ما لم أجرؤ على فعله معك فلست عندى كزميلتك مدام ديمى مور أو مدام شارون ستون أو مدام باميلا أندرسون.. بمناسبة باميلا ذات الصدر المتضخم. أعجبنى أنك لم تلجأى لتضخيم صدرك فى الفيلم كما فعلتى فى فيلمك إيرين بروكوفيتش. (الذى استلفت ١٥جنيه من الواد الجزمة أكرم لكى أحضره فى سينما جنينه أم ١٥جنيه التذكرة.. مايغلاش عليك)..

على أى حال لاتزعلى من الصحفى بتاع النيوزويك.. لعلك تعلمين إلى أى حد هى قذرة الصحافة وحقيرة ومليئة بالأدعياء.. بالمناسبة أنا صحفى شاب.. وأعجبنى أدائك لدور الصحفية فى فيلم (أحب المشاكل) مع الرائع نيك نولتى (بالمناسبة سرقوه عندنا فى مصر ومثله واحد اسمه محمد هنيدي وواحدة اسمها حنان ترك) والنبي سلمى على نيك نولتي وقولى له أن نطق إسمه محرج لدينا .. هل يمكن أن يجعله نيكولاس نولتى.. على الأقل لكى يرحم والده نولتى من سخرية السفلة لدينا.. على فكرة الصحافة لدينا ليست كما صورتيها فى أفلامك.. ليس لدينا

نــيكولاس نولتى ولا دنزل واشنطن (الصحفي الشريف بتاع فيلم قضــية الــبجع).. لديــنا كائنات جاهلة مدعية تتنفس الكذب هل تصــدقين أنــنى تركت العمل فى الصحيفة الخامسة على التوالى لأنــنى ضــبطت رئيس تحريرى الكاتب التقدمي فى وضع مخل ومخــتل مــع صحفية شابة كان يقول لنا أنه يدربها على التحرير الصحفي فإذا به يدربها على تحرير النصف الأسفل من جسمها.. يقولــون أننى أخرق.. بالتأكيد وإلا ما كنت أكتب إليك الآن.. أحلم أن أكشــف فسادا مثل الذى كشفتيه أنت ودنزل واشنطن الصحفى الشــريف.. خاصــة ولديــنا فائض للتصدير من قضايا الفساد لو نشرت لديكم لانقطع رزق مايكل كريتون وجون جريشام وستيفن كــنج وديفيد ماميت وغيرهم من كتابكم الناجحين الذين سيكتشفون أنهم مصابون بأنيميا حادة فى الخيال.

دعينا من قرف السياسة.. خلينا فى لفتاتك الساحرة.. من أين تأتين بكــل هــذا الجمال الذى يخبل.. عندما أخذت تتمايلين فى فستان فــرحك الغالى وأنت تسيرين فى ممر الكنيسة على أنغام موسيقى الــزفاف الرائعة.. فى آخر الممر ينتظرك أبونا وريتشارد جير– وهــل يليق بك غيره.. ولو أنى سمعت أنه شاذ ووضع مرة فأرا

كــاملا صــاحيا فــى مؤخرته.. فى بلادنا يقولون الفأر يلعب فى عبى.. بالطبع هناك اختلاف حضارات–

بليز لاتغضبي من استطراداتي فنحن نعشق الرغي واللك ونموت فــي الونــس فاستحمليني الله يبارك لك .. المهم أعود اليك وأنت تســيرين فــي ممر الكنيسة على أنغام موسيقى الزفاف الرائعة .. كــاد قلبى يتوقف عندما توقفت فجأة وسكنت وجهك تقطيبة مهيبة كــأنك تستعدين للهرب من عريسك المحتمل الرابع.. بكيت على صــدر المعلم جعبل تضامنا مع ريتشارد عندما هربتى منه بالفعل وهو يجرى خلفك متصدع القلب ومكروش النفس حتى يتوقف عن الجــرى خلفــك ويعــود إلى بيته مكتئبا ذلك الاكتئاب الأمريكانى الجمــيل– بيره وموسيقى حزينه وأجازة فى الريف ــ عندنا نبكى بالقــرب مــن كوبــرى عباس ونفكر فى رمى أنفسنا في النيل ثم نذهــب إلى البارات القليلة الباقية لنشرب ال٨٤–إيتى فور– وروم راس العبد أو شيئ من البانجو – مخدر زى الماريجوانا بس على أوسخ– لا تصدقينى لم أشرب شيئا من ذلك فأنا أكثر خيبة من أن أســكر أو أنســطل.. لأن أمــى لسعتنى وأنا صغير عندما دخنت ســيجارة فأصــابتنى بعقدة من كل ما يغضب الله.. أكتفى بتقليب المواجع مع أصدقائى وأكل الكشرى ثم البكاء الذى يصحبه نشيج

حـــاد وبرابـــير. ذكـــرني ريتشارد جير وهو يقف متصدعا خلف سـيارة النقل التى هربتى فيها بنفسي عندما وقفت مثل وقفته تلك متصــدعا خلف أتوبيس -٨٠٤- (التحرير ــ القلعة) الذى ركبته حبيبـــتى بعـــد أن زفت إلى خبر خطوبتها.. بعدها كنت أنا الذى أهرب عندما تأتى سيرة الزواج مع البنات اللواتى عرفتهن.. ربما لأنـــى اكتشـــفت أن أبـــى عندما يخرج إلى المعاش سيأخذ مكافأة قدرهـــا ٦ آلاف جنـــيه.. أنكسف أن أقول لك أن ٧ نفوس بشرية تعيش على أمل هذه الستة آلاف التعسة.

أنـــا حزين يا جوليا.. لأننى ضائع مثلك.. أو هكذا أتخيلك.. وأنت تبحثيـــن عن الحب فى أحضان كيفرساذريلاند وجاكسون باتريك ولـــيل لافيت وبنجامين برات.. أرأيت.. كيف أحفظ أسماء عشاقك الذيـــن ولاتغضـــبي منـــي لـــن يكون بنجامين آخرهم لأنك لست مقســومة أبـــدا لرجل واحد.. العدل أن تتقلبى بين أحضان رجال الأرض جمـــيعا لينال كل منهم حظه من السعادة الحقيقية.. أما أنا فـــالعدل أن أتقلـــب بيـــن أحضـــان المقاهى المسكونة بالكراهية والشوارع المزروعة حفرا ومطبات وذكريات مشى مع المحبوبة والأصـــدقاء المهزومين المديونين الممسوخى الأرواح والصحف المصـــادرة والمراقبة والمرخية والبنات اللعوبات فى التليفون فقط

الخائفـــات على الشرف والراغبات فى الستر والبلاد التى لا أفهم حتى الآن كيف نحبها كل هذا الحب أو ربما نتصور أننا نحبها كل هذا الحب.

علـــى الحائط تستقر صورة جميلة لك بقصة شعر قصيرة مرعبة الفتـــنة- لم أرها أبدا فى أفلامك أوربما رأيتها لكن شعرك الطويل محفـــور فـــى وجدانـــى أكثر- ترتدين سلسلة ماسية تستقر على صـــدرك الممتد العارى حتى بشائر النهدين.. تؤجج حمرته حمالتا الفستان السوداوتان بينما يشرق الكون بنور ابتسامتك التى تشعللها غمـــازات خديك- أتصورك بغمازات حتى لو لم يكن ذلك كذلك- قريبامـــن الـــتقاء إبطك بذراعك كتبت ويا لحقارتى "إمتى هاعيش يادنيـــتى سنى".. جملة قالها شاعر غلبان اسمه ابراهيم عبدالفتاح بالتأكـــيد يحبك وسيفرح أننى كتبت ذلك على أى حتة فى جسمك أقصـــد فـــى صورة جسمك.. ألصقت صورتك على ورقة دشت صـــفراء- دشـــت.. هذا إسم الورق الأصفر الرخيص الذى أكتب عليه الآن- وعلى فراغ الورقة كتبت بخط منمق قصيدة أزعم أنها كتبـــت فيكى حتى لو كان شاعرها أحمد فؤاد نجم- شاعر عظيم وفقـــير مـــن شعرائنا من المؤكد أنه كتب هذه القصيدة فى واحدة جـــربانة فى حوش قدم- تقول القصيدة .. " وجوز عيون لأ جوز

عصـــافير بـــرموش ترفـــرف عقلي يطير.. ومعششين على بحر كبـــير.. يغـــرق على شطه الحريف.. وأنزل على الجيد الجبار.. المفـــترى فرع الصبار.. وأقول له إيه آخر الأخبار.. يا مرمرى فـــى جنايـــن الريف.. جنينا من سحر البستان.. بعد العطش فكر وحـــرمان.. ورجعنا نرسم بالألوان على كل شجره وليف ووليف"

لـــو لم تفهمى معناها اطلبى من خالد النبوى أن يشرحها لك.. ولو فشل فصدقينى وعهد الله أنها أنت التي كان يكتب عنها عم أحمد.. جلال جمالك بالطبع لا تحيطه قصيدة ولكن المحاولة مطلوبة.

لعلمك.. لدينا فى مصر فتيات أجمل منك.. لكنهن يسكن فى أحياء نمـــر عليها بالأتوبيس أو التاكسى أو عربات الأصدقاء فى أحسن الأحوال.. ويلعبن فى نوادى لا ندخلها إلا بتصريح لإجراء مقابلة صـــحفية مع عضو مجلس قيادة ثورة سابق انتهت به قيادة الثورة إلى التشمس في الظل .. جنبا الى جنب مع أعضاء مجالس قوادة الثروة ..

لعلمـــك بقى.. حبيبتى كانت جميلة مثلك.. ولو تمكيجت وخلعت الحجـــاب لربما كانت أجمل منك.. لكن متاعب الكلى بهدلتها ولو رأيتيها الآن لما عرفتيها (بناء على وصفى لها).. تطلقت يا عينى وتشـــحورت أحوالهـــا ولكنـــنى وللعجب لا زلت أحبها وأحلم بأن

يجمعـــنى بها مشهد نهاية كالذى جمعك بـــ (هيوجرانت) فى فيلم (ســـحر الحـــب) والكاميرا تدور فوقكما راقصة مبتهجة بك وأنت ترقديـــن على حجره ببطنك المنتفخة الملأى بالحياة وهو يقرأ فى كـــتاب مـــن اصدارات مكتبة الأسرة وأنتما تتشمسان على كرسى حديقة تشبه الحديقة الدولية..

أعلم أنى أطلت عليك.. سأتركك الآن منتظرا ردك وأن يجمعنا الله عزوجل بك في جنته بديلا عن الحور العين أو كواحدة منهن لكى لا يزعلـــن.أعلـــم أننى سأثقل عليكى بطلبى الأخير هذا ولكن هل يمكن أن أجد لديك إى ميل ميج رايان.

ثانك يو.. آى لاف يو.

يور سينسيرلى (......)

قاهرة اسمه إيه المعز لدين الله

١٩٩٩

خطـــاب مســـجل وبعدم الوصول إلى السيدة المصونة واللؤلؤة بنت المكنونة (.....) محبوبتنا السابقة.. وألف شكر لرجال البريد

بنى بجم

".. مسيرى فى يوم ألاقيه

وتبلل دموعى إيديه"

فــى هذه اللحظة التى أبكى فيها بدل الدموع دما.. أين أنت.. أيــن أراضيك؟ هل تجلسين الآن فى غرفة المعيشة " تضعين يدك خلف ظهرك وتشكين من آلام بطنك المتكورة، وتقولين لزوجك- الذى يلعب دورى لظروف إنتاجية لا علاقة لى بها- "شايف ابنك الشقى بيعمل إيه؟".

أم أنــك تعانيــن الآن مــن مشاكل المرأة العاملة.. تسرعين فى الصــباح إلــى عملك لاعنة زحمة المواصلات وقرف الوظيفة.. تركبيــن عربــتك النصــف عمر دون شعبطة فى الأتوبيس كنتى ســتتالينها معــى مثلما كنت تقولين ساخرة حين كنا نحب بعضنا بقوة؟. (بالمناسبة أنا لم أعد أركب أتوبيسات أبدا الآن، أعيش منذ ٥ ســنوات فــترة انــتعاش طــبقى لا أدرى هل تستمر؟، لكنى وبالمناســبة أيضــا، لــم أعــد " أحــوش" لأبنى عشنا الصغير، فــ" العشش" لم تعد تصلح إلا لشرب البانجو فى زمن الأبراج).

أم أنــك عــدت تــوا من مكتب البوسطة بعد أن أرسلت الجواب العاشــر خلال شهر لزوجك- المقيم فى الامارات ربما- تذكرينه بــأن يعــود لك فى الأجازة القادمة بالمروحة الليزر والكاسيت أو سى دى والفيديو " ملطى سيستم " (بالمناسبة أنا رفضت أن أسافر إلــى الإمارات لأن الوطن لا زال يروق لى ورغم ذلك اشتريت

فـــيديو بالقسط غير المريح وأصبح عندى اشتراك مدى الحياة فى جميع أندية الفيديو المجاورة)..

... أم ... هــل خـــانك التوفيق فى تجربتك الأولى.. هل تجلسين الآن فـــى غرفتك الضيقة فى بيت أهلك " مفكوكة الكتاب مخسوفة الجـــواب ".. تخرجيـــن من كرتونة تحت الدولاب رسائلى القديمة وقصـــائدى التى كنت أتصورها شعرا ذا مستوى.. وتقولين لنفسك بأســـى " خلاص راح ولن يعود مهما استرحمت دقات قلبى.. فأنا الذى بدأ الملامة والصدودا .. ولن يعودا..".

وحـــياتك سأعود زاحفا وباكيا ومقبلا الأرض لو أردت.. فأنا من بنى بجم الذين لا يعتبرون ولا يتعظون ولا يكادون يفقهون حديثا.

لســـت أدرى أين أنت الآن بالذات فى هذه اللحظة التى أبكى فيها بـــدل الدموع دما؟ لكننى أدرى ومتأكد تماما أنك لا تبكين أبدا. لو كنت تعرفين البكاء لكنت إلى جوارى الآن..

شارع ضريح سعد زغلول

١٩٩٦

" صورة طبق الأصل من أوراق ملف قضية حقيقية حدثت بحذافيرها فى صيف عام ٢٠١٠ عندما قررت الحكومة أن تعيد تربية المواطن عامر بتاع السنترال لا لشيئ سوى أنه قام بالالتزام بتعليمات الهيئة وتكسير كلام أيمن بك "

خــــلاف حميم فى وجهـــات النـــظر بين الحكومة وعامر بتاع السنترال!

" آدى الحقيقة وآدى اللى طالبينها
والحق تاه فى الباطل البطال
وقلوبنا تاهت عن محبينها
وآدى نجومنا بعيدة ما تنطال"

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ العظيم/ بكرى بكرى المصرى المحامى

تحية طيبة لسيادتكم وبعد:-

كنت فى ورديتى يوم الأحد الموافق ٢٠١٠/٤/٧ حيث أعمل موظفا فى سنترال محطة الرمل، كانت الساعة العاشرة والنصف ليلا وكان يوجد زحام شديد بالسنترال حيث موسم الصيف، وكانت الكبائن كلها مشغولة، ودخل على شاب طويل قاسى الملامح معه فتاه شقراء ويحمل طبنجه فى خصره بشكل ملحوظ، وقال لى:- إنت يا ابنى عايزين نكلم مصر، قلت له " حاضر" وأخذت الرقم بلوحة التجارب الخاصة بالمكالمات، وطلبت منه الجلوس فرفض، وأثناء النقاش رفع هذا الرجل صوته، وخرج فرد من احدى الكبائن لكى تنفض المشكلة ويدخل سيادته، لكن طلب منى هذا الرجل فتح خط لتجربة الرقم بمعرفته، فأفهمته أن هذا ممنوع طبقا لقانون الهيئة، فطلب أن يتكلم مع الرقم المطلوب من السويتش، طلبت منه دخول الكابينة فرفض فألحيت عليه فطلب من الفتاة

الموجـــودة معـــه دخـــول الكابينة ووقف أمامى وأنا أجرب الرقم وطلبـــت الرقم ووجده مشغولا فأخذ الفتاة وخرج وقال لى:- لازم وحـــياة أمـــى أربـــيك، ووقف أمام السنترال بالخارج وسب وشتم بألعن الألفاظ، وتناسيت أنا المشكلة بعد أن مشى، ومرت الوردية بسلام.

فـــى الساعة ٧,٣٠ صباحا جاء إلى أمين شرطة إسمه على عزت ومعه جندى بصفة ودية، فقلت له أعملك شاى فقال لأ أنا هشرب الســـيجارة دى وهمشى، وعندما سلمت الوردية الساعة ٨ صباحا يوم ٢٠١٠/٤/٨ خرجت من السنترال وبمجرد خروجى من باب الســـنترال ألقـــى هـــذا الأمين القبض على ومعه رجال المباحث وأخذونى أخذ عزيز مقتدر، وحملونى إلى وحدة المباحث، وهناك وجـــدت الملازم أول حمدان ماهر حيث كان فى أنتظارى محضر جاهـــز ينقصـــه الامضـــاء فقط فهددنى حضرة الضابط بأن عدم إمضائى سوف يكون معناه قضية إضافية، واستدعى شاب موجود رفض أن يوقع مثلى على محضر آخر، فضربوه أمامى حتى سال الـــدم مـــن فمـــه وأنفـــه واضـــطر أن يوقع، فلما رأيت ذلك زاد إصـــرارى على الرفض، فأخرج لى كيس بانجو ومطواتين قرن غـــزال، فلما رفضت ثانية وزاد إصرارى كاد أن يعمل بها حرز لولا خوفى من الموقف فاضطررت إلى الإمضاء دون علمى باللى

جـــوه المحضـــر، كـــل اللى لاحظته هو كلمة (اعتراض أنثى) وكلمـــة (ضبطه) عليها دائرة زرقاء، وبمجرد ما وقّعت وقعت فـــى الفـــخ، طلب الضابط مخبر وقال له أعمل زى ما قلت لك، وبمجـــرد نـــزولى إلى أسفل وجدت مساعد أول فى أنتظارى أخذ يدى بعنف وأدخلنى أوده الفيش ولقيت ٣ فيش أصلى فى أنتظارى جاهزيـــن مـــن كـــل البـــيانات، خـــد المساعد يدى مع العسكرى وأبصمونى بالقوة، ثم قادونى إلى حجرة المأمور ووضعوا الحديد فـــى يـــدى وهويّه سحبونى على وكيل النيابة وعندما دخلت على ســـيادته نظـــر إلى متفحصا وقال لى إسمك ايه فقلت له البيانات وقبل أن أكمل قال لى أنا عارف إن انت هتجينى من امبارح، مش إنـــت عامـــر السيد بتاع السنترال، فقلت له: نعم، فقال لى: إيه يا ابنى انت فاتح السنترال ملاكى، حكيت له ما حدث، وكان سيادته ذوق جـــدا فقـــال لى: بص يا عامر لو كنت جاى فى خناقه كان أهون، المحضر معمول لك ده محضر تقيل لكن يعنى على العموم أن هاســـيبك عشان انت باين عليك غلبان وياريت ماشوفش وشك هـــنا تـــانى، وأشار بالانصراف، بعدها أخذنى الحرس تانى إلى القســـم بعد أن فرجوا على أمة لا إله إلا الله وأصبحت كالأراجوز الـــذى يـــنظر إليه الكل وبعد ذهابى إلى القسم أدخلونى الزنزانه، وبعـــد فـــتره طلبنى الملازم ولقيت فيشا آخر وشد سيادته اصبعى

الابهام ووضعه على الفيش وأخذونى ثانية، ثم بعد برهة أرسلونى إلى مديرية الأمن مع جواب توصية ومجموعة أوراق تودى فى داهية، أدخلونى أولا للكشف على فى قسم تزييف العملة ثم الأموال العامة ثم إلى مباحث الآداب، كنت ما أزال متأثرا من الشتيمة التى وجهها لى ضابط فى الأموال العامة، ابتسم على بك عبد الكريم رئيس مباحث الآداب لما قلت له يا سيدى أنا لم أفعل شيئا وشتمونى، قال لى: مش انت عامر بتاع السنترال، حكيت له كل اللى حصل، قال لى: سيبك من المحضر ده ورمى المحضر، وقال لى: ده بنات اسكندريه اللى بتيجى السنترال كلها بتشكى منك وبنطلب منهم يعملوا لك محاضر ما بيرضوش.. إيه رأيك، فجأة طلبه ملازم مش فاكر إسمه من قسم تانى، قال له: آه.. كل شيئ تمام.. وصل آه، وطلب منى الخروج، وخرجت لكنى من بره سمعت ضحكته وهو بيقول : طبعا هنربيه.. إنت تؤمر يا عسل، بعدها نادى على العسكرى وأعطه ورقة وإذا هى بها العرض فى الفترة المسائية على جميع الأقسام، ورحلونى على القسم اللى فيه الملازم اللى اتكلم فى التليفون واللى طلع إسمه هانى، دخلونى الحجز ونزل لى الملازم وقال لى: يعنى لازم تزعل النقيب أيمن بيه قدام خطيبته، وقتها بس عرفت سر اللى حصل لى وإن اللى أنا متبهدل عشانه كان ضابط والله العظيم تلاته وحياة ولادى ما

غلطت فيه، يمكن مع ضغطة الشغل والحر والرطوبه عاملته عادى. بريق ناشف جايز زى ما باعمل مع كل الناس، المهم حطوا فى إيدى الحديد تانى لغاية ما عدت الساعة ٩,٣٠ بالليل، عندما أحدثت ضجة أرسلونى فى جولة على كام قسم كده وبعدين رجعونى إلى المديرية لعلى بك عبد الكريم فى مباحث الأداب، ضرب الجرس وطلب فرد يرتدى ملابس مدنية وأخذنى مع العسكرى إلى تزييف العملة والأموال العامة تانى ثم أخذونى إلى حجرة حيث وجدت دوسيه أصغر مكتوب عليه كل بياناتى من الأم والأب وحتى الإخوة ما عدا أسماءهم فاضية وطلبوا منى أملأ أسماء عيلتى، اعترضت فهددونى بأنى هالبس قضية، ومن خوفى أعطيته أسماء وبيانات وهمية وبعدها سلمونى إلى عسكرى تانى حيث عمل لى كارت أصفر عريض فى قسم المعلومات الجنائية حيث وجدت الجميع ينتظرنى وبعدها أدخلونى على السيد المقدم محمود خفاجى، وعندما رآنى احمر وجهه وتحركت ودانه وقال لى أهلا يا عامر يا حبيبى تعالى، وكانت قد دخلت إليه فى ورديته فى الفترة الصباحية وحكيت له ما حدث، وفوجئت أن موقفه تغير ولم يعد متعاطفا معى كما كان، وعرفت أنه تلقى اتصالات من كذا باشا يطالبون بربايتى خاصة أيمن بيه الذى كان فى السنترال، والذى عرفت من العساكر أنه تم نقله إلى مباحث التموين حيث

أنه كان فى المباحث العامة وتم نقله لسوء سلوكه واستخدام العنف مـــع المدنيين، المهم التوصيات جاءت بالخير حيث تلقانى محمود بيه بوابل من الشتائم والرذائل وضربنى فى صدرى بيده وهددنى، وقـــال لى انت معمول لك محضر انتحال شخصية ضابط شرطة فـــى قسم العامرية، وأقسمت أننى لم أفعل، فطلب لى كل الأقسام للبحـــث عن أى شيئ لى وبعدها أشبعنى شتائم وقال لى: أصورك دلوقتى يا (...) أمك يا ابن (...) ونظرت إليه فى عينه وأحسست أنه يشعر بأننى مظلوم، فقال لى مرتبكا : أنا مش هاكدب رجالتى وأصـــدقك أنـــت ، فقلـــت له : فعلا وأنا مهما قلت برضه هاكون غلطـــان، وســـكت، وبعدها أدخلوا أمامى شاب صغير وضربوه ضربا مبرحا وقال لى : شفت .. الحرامى ده أنضف منك .

ســـكت نهائيا وأخذنى وخرج، وراح هو وشويه ضباط على أودة على بك وأعطانى على بك ورقة لأعطيها للعسكرى وقال لى : لو شفتك هنا تانى هاخرب بيتك وخلى بالك أنا ممكن أجيبك تانى .

ورحلونـــى إلى قسم مكافحة المخدرات حيث شاء القدر ألا يكون هـــناك الضـــابط المناوب الذى توقعته، حيث غاب فجأة، الضابط الموجود سمع حكايتى وفى وسطها جاله تليفون ، قلت بس كملت واتخزوقـــت يـــا عامر، لكن سبحان الله فجأة لقيته ثار وشتم اللى بيكلمه وقال له : يا أخى أحه.. أنا ما اعرفش أظلم حد.. اقفل قبل

مـــا أقفل السماعة فى وشك، وبعدما قفل قال لى : ده انت وقعت وقعـــه ســـودا .. ياالله روح ربنا معاك. وأمر انهم يبعثونى للقسم علشـــان يفـــرجوا عـــنى.. فـــى القسم وجدته خاليا إلا من رئيس المباحث الذى كان فى انتظارى الذى نظر لى نظرة جعلنى أشعر وكـــأنى لا شـــيئ، وقـــال لى خليك معانا لبكره لأن المأمور راح الاســـتراحة وفضلت فى القسم حتى أخلى سبيلى بعد أن هددونى. وعـــدت بعد عشرة أيام ليحقق معى السيد مفتش الداخلية، وبعدها بيوم حقق معى العميد عادل عبد الصمد. وحتى لحظة كتابتى لهذه الســـطور لـــم تستجب المصلحة لنقلى من السنترال حيث أتعرض للتهديدات.

وإلى الآن أشعر أنى أعيش فى رعب وأننى قضى على مستقبلى. والله يعلم أننى برئ.

مقدمه لسيادتكم

عامر السيد كامل

موظف بسنترال الرمل ومقيم

بشارع العبور

بطاقه شخصية رقم

٣٨٤٥٥٠ بندر رشيد

بالمناسـبة إسـم الفتاة التى اتهمونى بها بالكامل هناء حسنى على الأنصـارى طالـبة بكلية التربية الفرقة الثالثة شعبة صناعية قسم نسـيج وعـنوانها ٦٥ ش وابـور الحطـب الساحل شبرا ورقم المحضر ٣١٨ جنح آداب اعتراض أنثى.

واسم الضابط الذى بهدلنى النقيب أيمن عبد الرحيم وهو حاليا فى القاهرة يحضر دراسات عليا فى كلية الحقوق .

تليفون والدة الفتاة بالقاهرة ٧٩٦٠٥٣٩

ملاحظة أخيرة: حسبى الله ونعم الوكيل.

وأملـى أن تكونـوا سـيادتكم سببا فى إنصافى أو حتى فى عدم تعـرض لمـزيد مـن الـبهدلة، واعدكم أننى سآخذ كل الزبائن بالأحضـان حتى لو ضربونى على قفايا ولن ألتزم بـأى تعليمة من تعليمات الهيئة وأن اربط الحمار مطرح ما يعوز الحمار..

شارع سعد زغلول

١٩٩٩

الموت على ارتفاع منخفض

" ماتقلد امرؤ قلادة خيرا من سَكينة"

لـــم يكن النوم قد غلبنى بعد، رغم أن الوقت قد جاوز الفجر بكثـــير. فتحـــت "شيش" البلكونة محدثا ضجة فى نصف السكون المحيط.لم تكن الشمس قد اكتمل إشراقها..لكن النور كان قد بسط بهجـــته علــى الحـــارة ومـــا حولها. هزتنى نسائم الصباح فملت بجسدى على حاجز البلكونة مسندا قدمى إلى قضبانها الحديدية.

اســـتدرت عائدا إلى الغرفة.. أحضرت "الووكمان" أو التسجيل أبو ســـماعات كمـــا تحب أمى أن تدعوه.. وضعت السماعة فى أذنى وأدرت شـــريطا لمحمـــد منير.. طربت وأخذت أتمايل غارقا فى تفاصـــيل الأوركســـترا الصـــباحية التى تعزفها حارة سمكة كل صباح.

وجـــوه الأطفال المحمرة بفعل هواء الصباح القارس، أعينهم التى لـــم يمـــح المـــاء والصـــابون أثر "عماص" الأحلام منها، أياديهم القابضـــة علـــى أكياس السندوتشات التى تضيق حقائبهم الصغيرة الرثة عن حمله خوفا من تلوث الكراريس.. خطى بعضهم متثاقلة

وخطى البعض الآخر فرحة متلهفة ليوم صاخب.. بعضهم يسير بصحبة أمه تجره وراءها وهى تلقى نظرات سريعة على هندامه.. ربما تمتد يدها لتعيد خصلة شاردة أو تشد بنطالا متهدلا لكن تعجلها لا يلقى ترحيبا أو تجاوبا.. البعض الآخر يفرغ طاقته البكر فى ركل أحجار الطريق ونصب الكمائن المتقنة للقطط النعسانة .. صوت ماكينة الطعمية يهدر من محل "عم نبوى" الذى لم يستقبل كل زبائنه بعد..

يدعى عم نبوى دائما أنه أحسن صنايعى فول فى مصر حسبما شهد له أنور السادات – الذى أصبح بعد سنوات طويلة من شهادته لعم نبوى– حاكما لمصر..

يقول لك عم نبوى ذلك إذا كنت زبونا جديدا وهو يشير إلى الحائط خلفه حيث علقت صورة له مع السادات الذى لم يكن وقت التقاط الصورة من أشيك ١٠ رجال فى العالم. عم محمود صاحب محل الفول المنافس فى الطرف الآخر من الحارة يزعم أن قصة عم نبوى مكذوبة من ساسها لرأسها، لأنه إذا كان السادات وقتها "فسلا" لا أهمية له فما الذى دعاه للتصوير مع نبوى– يقولها من غير لقب عم– أوبمعنى أصح لماذا تحمس نبوى للتصوير معه، ومن أين جاء المصور أساسا، خاصة أن حارة سمكة التى كان

نبوى ينصب فيها عربته قبل أن يفتحها الله فى وجهه ويفتح دكان لو دخلها مصور بجردل لكان ذلك حدثا مشهودا فى تاريخها.

"روح لأم راوية– يقول عم محمود قاصدا أم راوية مؤرخة الحارة– واسألها .. عمر مصور دخل حارة الشيخ سالم، واقطع بتاعى لو قالت لك حصل.. الصورة يابنى مضروبة – يواصل عم محمود فى حرارة– ثم مال الفول ومال صور الرويسا.. أنا شخصيا عندى صورة مع عبدالناصر.. وأظن ده ما حدش يقدر ينكر إنه كان بيتصور مع اللى يسوى واللى ما يسواش..تسألنى ليه ما أعلقهاش فى المحل.. أقول لك ابقى بقلل من قيمتى ومن قيمة الريس عبد الناصر.. كنت أعلق صورته الله يرحمه لو كنت جزار ولا حلواني.. حاجة تليق بمقامه.. مش محل فول.. عيب يابني.. أنا بافهم في الاصول.. وبعدين نبوى ده نخيع وابن وسخة.. عشان شايف الزمن ده زمن السادات ورجالته.. ماكل دول كانوا رجالة المرحوم.. عشان كده معلق صورته مع السادات.. إنما أنا أعلق صورة عبدالناصر دلوقتى عشان الزباين يأكلوا ضرب على قفاهم بدل مايأكلوا فول.. إوعى تفتكر إني باكره السادات.. كان حبيبي ومحمد نجيب حبيبي.. بس انت

عارف إحنا ماكانش ينفع لنا غير الملك فاروق.. إحنا ناس ولاد كلب".

لا تجرؤ طبعا أن تردد اتهامات عم محمود على مسمع من عم نبوى أوحتى تثير تساؤلا حول ما إذا كانت الصورة "مضروبة" لأنك أنت الذى ستخرج"مضروبا" بمغرفة الفول.

أخرجنى صوت عزة من "سرحانى" مع السادات وعم نبوى وعم محمود.. صباح كل يوم يخرجنى صوت عزة من "سرحانى" مع أحد.. تأتى مسرعة من آخر الحارة بسنواتها السبع العجاف وبزيها المدرسى الكحلى تستحث أخاها حسن الذى يسير خلفها متباطئا يجرجر حقيبته التى بهتت ألوان العلم الأمريكى المطبوع عليها. تقف أمام المنزل المجاور لمنزلنا. تضغط الجرس الأحمر الصغير. ثم ترفع رأسها إلى نوافذ المنزل. لايظهر أحد. تواصل ضغطها على الجرس متملمة. تأخذ فى النداء بصوت حاد متموج "ياسمييين" عندما تيأس من مفعول الجرس.

من نافذة الدور الثالث تطل ياسمين بقميصها الوردى وجسدها الضئيل. مفارقة النوم بصعوبة. تشير مرحبة بيد وتفرك عينيها بالأخرى.

–صباح الخير يا ياسمين.

–إصباح الخير يا عزة.. هيه الساعة كام.

–اتأخرنا يا حبيبتى.. بقت ستة ونص.. إبقى حصلينى.

–ماشى يا ياسمين.. متشكرة قوى.

كل يوم تبدو جميلة عيونها النصف يقظة وهى تغلق النافذة.

حولت نظرى إلى قفص الطيور الكبير المثبت فى البلكونة المواجهة أسفل بيت ياسمين .. شغوف أنا بالنظر من خلال ثقوب السلك المعدنى الصدئة إلى الببغاوات الثلاثة الذهبية التى تسكنها. تبدو لى جميلة النقاط الخضراء التى تملأ رؤوسها وأجنحتها ربما خدعنى النظر فقد لا تكون النقاط خضراء لكن المؤكد أن الببغاوات ذهبية. كان اختيالها الصاخب فى القفص مثيرا للبهجة. لم تكن أصواتها جميلة لكنها كانت تبدو متناغمة نوعا ما مع زقزقة العصافير وهديل الحمام وهدير ماكينة الطعمية وصياح الديكة التى افتتحت أوركسترا الصياح منذ ما قبل طلوع الفجر مستلمة وردية العمل من الكلاب النابحة طول الليل.

حط على حافة البلكونة قريبا من القفص عصفوران رماديان– منظرهما البائس وخبرتى فى التعرف على الفقراء يؤكدان جوعهما منذ أمد بعيد – اقترب أضألهما من القفص فى فقرات هادئة. غره وقوف الببغاوات على أعمدة خشبية مثبتة فى أعلى

القفص الواسع. طار متعلقا بالحافة السفلى للقفص. بعد ثوان لحقه رفيقه. طمأنهما سكون الببغاوات اللواتى شغلهن تنظيف ريشهن- جزمت من فترة أنهن إناث.. ربما لجمالهن الزائد عن الحد- أخذ العصفوران ينقران الحب المتناثر على أطراف أرضية القفص بينما يتأرجح جسداهما بخفة وبهلوانية مؤديان وضعا يعجز عن أدائه عتاولة السيرك القومي بالعجوزة.. لم يكادا يهنئان بابتلاع حبة أو حبتين حتى انقضت عليهما الببغاوات الثلاث ينقرنهما بوحشية في ماتيسر من جسديهما.. صمد العصفوران لوهلة محاولين تكبد عناء النقر ومواصلين تناول طعاميهما.. لكن نقرتين في عيني كل منهما أطاحت بهما بعيدا عن القفص مصدرين صيحة ألم ــ هكذا أظنها فقد كانت المرة الأولى التي أسمع فيها صوتا كهذا يصدر عن طير ــ .. اختل توازن العصفورين المسكينين وتأرجحا في الهواء قبل أن يستعيدا ذاتيهما كعصفورين ويطيران بخفة مستقرين فوق سور البلكونة المواجهة للقفص..

" الحقيني ياإصلاح.. أبويا مات يا إصلاح.. مات وقلبه غضبان عليكي ياواطية".. هكذا جاء صوتها يسبقها داخلا الى الحارة حاملا مزيجا من الحزن والتشفي والاحتياج للمشاركة.. من بعده دخلت الى الحارة اعتدال أخت زوجة صاحب شقتنا عبد الواحد أو

عبد الواحد عدو الله كما كنا نسميه.. مولولة متشحتفة منعكشة داعية على أختها ومستنجدة بها وشاتمة زوجها الذي أوغر صدرها على أبيها وفرق بينها وبينه.. ماهي إلا لحظات وانبرت لها أختها مولولة متشحتفة تنكش شعرها وتشق هدومها وتدعو على زوجها الذي أوغر صدرها على أبيها وفرق بينها وبينه عشان يستفرد بيها ويكوش على فلوسها ودهبها.. بمجرد أن وصلت إصلاح إلى أختها فاجأتها أختها بأن رقعتها (قلما) سمعت الحارة كلها صوته مجسما.. لم يكن وقت مثل هذا جديرا بقلم مثل هذا .. لكن إصلاح تقبلته في صمت ربما لعلها تعلم يقينا داخلها أنها تستحقه لسبب ما لايعلمه إلا الله وهي وأختها وربما أبوهما رحمه الله وربما أمهما ربنا يديها الصحة وربما آخرون لايعلمهم إلا الله.. دون أن تمر فترة زمنية كافية لاستيعاب القلم الذي أكلته إصلاح على خلقتها ارتمت أختها في حضنها وأخذتا تتمرمغان في أحزانهما سويا.. بعد قليل خرج عبد الواحد ينفض عن وجهه آثار الصباح الأغبر يحاول أن يبدو حزينا ويرفع صوته بما يقال عادة في مناسبات كهذه محاولا أن يعلو صوته على صوت إعتدال التي تلعن سنسفيله وسنسفيل جدوده الأوساخ.

بعـد لحظات من شحذ الهمم عاد العصفوران الفقيران للانقضاض على القفص.. مستغلين ماظناه خمولا من الببغاوات الثلاث اللواتي توقفـن للحظات عن الأكل.. ربما ظن العصفوران المسكينان هذا الـتوقف شـبعا لكنه لم يكن كذلك .. أو لعل هذا ماأدركاه عندما انقضت عليهن الببغاوات بشراسة أعتى هذه المرة .. لم يكن لهذه الشراسة مبرر بعد كل ماأكلته الببغاوات من أكل هو بالتأكيد زائد عـن حاجتهن .. خاصة أن كل ماكان العصفوران سيصلان إليه بمـنقاريهما الضـئيلين لايـتجاوز حبات قليلات يمكن عدها على أصـابع أرجل الببغاوات .. هي الحبات التي استقرت على حافة القفـص الخشـبي العـريض.. كـان واضحا لكل ذي عينين أن الموضوع لاعلاقة له بالأكل أو الجوع أو الشبع .. هناك ضديات تكـنها الببغاوات لهذين العصفورين المسكينين .. ضديات فلسفية لايمكـن فهمهـا إلا من خلال تقمص شخصية ببغاء محبوس في قفـص لفـترة طويلة ينظر الى عصفور طليق يسعى في مناكب السـماوات .. الجوع الكافر هو الذي خيل للعصفورين المسكينين أنهما يمكن لهما أن يحتملا ضربات مناقير الببغاوات التي لم أكن محـتاجا لأن أكون عصفورا لأدرك مدى إيلامها .. فصوت هذه المناقـير عندما يضرب في خشب أرضية القفص يصلني واضحا

قويا أنا الذي تفصلني عن القفص أمتار .. فما بالك لو وقعت هذه الضربات على قليل من اللحم المكسو بالريش .. أستطيع أن أجزم دون حاجـة للتمعـن أن ماظننته دما يسيل من العصفورين الذين عجزا عن الإحتمال وابتعدا عن القفص .. هو دم بالفعل.

صـوت ماكيـنة الطعمية أصبح الآن أضعف بعد أن غطت عليه أصـوات نـواح اعتدال وإصلاح وابتهالات عبد الواحد عدو الله لـربه بـأن يرحم الفقيد الذي اتخطف .. بين الحين والآخر ومن بلكونـة هنا وشباك هناك تأتي تعزية أو مواساة أو صويط مجاملة أو دعـوة بالـرحمة أو سـؤال عن موعد صلاة الجنازة ومكان العزاء..

فجـأة خرجـت أم عبير من باب العقار ـ أحسب أن هذه الكلمة تكون الأصدق حالا في وصفه فالذي نسكنه ليس عمارة ولا بيتا.. هـو ربـك والحـق خطأ معماري شنيع لايمكن المداراة عليه إلا بوصـفه بالعقـار ـ .. لاتستهن بي عندما أقطع لك الحكاية بهذه الجملـة (فجأة خرجت أم عبير ..) .. لاتقل لي ومن هي أم عبير هـذه التي تستحق هذا الدخول الملحمي .. في حارة سمكة لايعذر المـرء بجهلـه خصوصـا إذا تعلق الأمر بأم عبير التي يحسب الجمـيع لهـا ألف حساب لأسباب عديدة على رأسها أو أهمها أو

لعلــه الســبب الوحــيد أن لها شخرة تدخل الرهبة في النفوس .. لاتسـلني كـيف لأنني سأقول لك أنها شخرة لايمكن تجسيدها في كلمــات قلــيلة .. ينبغي لك أن تسمعها لكي تتبين أثرها المعنوي الذي يباغت أجدعها شنب ويجعله يفكر ألف مرة قبل أن يرد على أم عبير أو يدوس لها على طرف .. أذكر هنا أن أحد شباب الحي قال لي يوما ونحن نجلس على القهوة نراقب خناقة من خناقات أم عبـير أنه يتعجب كيف أن الدولة لم تنتبه خلال الحروب الماضية التــي خضــناها مــع إسرائيل إلى أهمية حنجرة أم عبير كسلاح معنوي كان من الممكن أن يكون أجدى لنا من صوت أحمد سعيد وأغنــية أصــبح عندي الآن بندقية .. لم يكن يتريق بالمناسبة بل كــان له خطة متكاملة للأمر هي أن تخصص إذاعة موجهة الى جـنود العــدو ـ باعتبار ماكان ـ تذيع شخرة أم عبير بتنويعات مختلفة وبتونات صوتية مختلفة طيلة فترة البث .. وابقى قابلني لو اسـتطاع أحدهــم أن يصمد لأكثر من يوم دون أن ينهار ويطلب العودة إلى موطنه الأصلي تاركا أرض الأجداد للأحفاد.

لاتقــل لــي أن هذا ليس موضوعنا الآن .. بالعكس كان يجب أن أسـتطرد لــك في شرح الأمر لكي تكون في صورة الحدث الذي سـيحدث بعــد قليل .. خرجت أم عبير ومن خلفها عبير ـ أكثر

الخراتيــت البشرية جمالاـ ومن خلفهما المنجد الذي يحمل مرتبة قطنــية لــم يسعفه الوقت لكي ينتهي من إنجازها بالأمس ولم يعد أمامــه مــن بد سوى أن ينتهي منها اليوم طبقا لــ "الإسكيديوال" الموضــوع له مــن أم عبير التي لن تسمح لأمثاله بأن يعطل ولو للحظــة ترتيــبات استعدادها لزفاف ابنتها التي سيفك الله عقدتها أخـيرا بعد أن وجدت الكيال النتن الذي يقدر فولتها المسوسة حق قدرها.

زغرت أم عبير للثلاثي الحزين الذي يكاد يسد مدخل باب العقار حيث من المفترض أن تجري مراسم اكتمال عملية التنجيد للمرتبة التــي مــن المفــترض أن تنال عبير متعتها عليها عما قريب .. تحاشــى الثلاثــي الحزين النظر اليها انتظارا لجملة مواساة تأتي منها تكون مدخلا لحديث ما يعلم الله ماسيأتي فيه .. من شباك هنا وبلكونة هناك تأتي الآن عبارات تحية تصبح بالخير على أم عبير وتســأل الله بأن يتمم لبنتها عروسة الحتة بألف خير ويسعد أيامها .. تــرد أم عبير بهزات مجاملة من رأسها وهي تواصل زغرتها لعــبد الواحــد وآله .. ربما ترى أن زغرتها لاتتسق مع وضعها الطبقــي كمســتأجرة فــي عقار عبد الواحد .. ولكن من قال أن قوانيــن العلاقــة بين المالك والمستأجر تعني شيئا لأم عبير التي

تمـــتلك قانونها الخاص الذي أجملته ذات يوم بعبارتها الخالدة "إن عشت هاذلكو وإن مت الله يسهلكو".

فجأة ودون سابق إنذار قصفت أم عبير ثلة الحزانى التي تهدد يوم ابنـــتها السعيد بالفال الوحش " ماخلاص بقى ياعبد الواحد .. هو مـــوال ولا مـــوال .. بقى لكو نص ساعة بتبربروا و تندبوا على الـــراجل اللي كنتو بتطلعو ميتين أهله كل يوم .. الحزن في القلب يامــــرة منك ليها .. حبكت يعني تقلبوها مناحة لما جينا نفرح .... لـــو حــــارقكو قوي المرحوم روحوا الطموا وشنشنوا هناك تحت بيـــته.. يالله ماتنكدوش على بنتي وخلوا يومكو الخرا ده يعدي" .. ربمــــا رد عـــبد الواحـــد هو وزوجته وأختها على هجوم أم عبير البربري الغاشم لكنه بالتأكيد كان ردا أقرب الى الهمهمة لم يسمعه أحد من الواقفين في شباك هنا أو بلكونة هناك وبالتأكيد لم تسمعه أم عبـــير التـــي لاتبعد عنهم أكثر من سنتيمترات، أغلب الظن أنه كـــان ردا بالنية وإنما الأعمال بالنيات.. على أي حال عبد الواحد عـــدو الله وأهل بيته إن لم يكن لديهم القدر الكافي من الحكمة لكي يمتنعوا عن الرد على أم عبير فلديهم بالتأكيد القدر الكافي من الهم الـــذي لايريدون أن تثريه أم عبير لهم.. لذلك فقد اختفوا تدريجيا مـــن الحـــارة كـــأنهم اتخذوا قرار الانصراف الى بيت المرحوم

بمحض إرادتهم متجاهلين أم عبير تماما ومتعاملين معها بوصفها كارثـــة طبيعية لاسبيل لدرئها أو حتى الإعتراض عليها أو لاسمح الله الســـؤال عن حكمة وقوعها لأن ذلك يدخل في باب الكفر الذي لايرتكبه أناس مؤمنون مثلهم.

كأن حوارا طويلا انتهى للتو بين العصفورين المسكينين .. لاأعلم منطق الطير لكنني أستطيع أن أجزم بأن حوارا ساخنا وحادا كان يجـــري بيـــنهما .. ومن خلال موقعي أستطيع أن أؤكد أيضا أن الصـــوت الأعلى في الحوار كان للعصفور الأضأل حجما وأكثر تضـــررا من جراح المعركة .. شيئ ما في عينيه ينبئني أنه يعد لشـــيئ وأنـــه لايعتـــبر أن المعركة انتهت .. وهو مأأميل الى أن العصفور الأكبر حجما والأقل تضررا من جراح المعركة يشاطر فيه الببغاوات الثلاث التي تملأ القفص ضجيجا واختيالا وزهوا بما تعتبره نصرا حتى ولو كان على عدو لايمتلك قوة تذكر.

بعـــد صـــمت قصير عاد العصفور الأضأل الى رفع صوته على رفـــيقه الـــذي اكتفى بالصمت ثم أصدر صوتا خفيضا غير مفهوم شـــممت مـــنه رائحة النصيحة.. لم ينتظر العصفور الأضأل حتى ينتهـــي رفيقه الحكيم من إكمال حديثه .. اندفع كالسهم الى القفص مســـتغلا انشغال الببغاوات الثلاث في الرفرفة بأجنحتها في سماء

القفــص .. مـــاإن تعلقــت قدماه بطرف القفص حتى قام بسرعة بمحاولـــة لتحقيق التوازن لجسده الضئيل لكي لايتأرجح في الهواء عبثا وأخذ يسدد ضربات خاطفة بمنقاره للحبوب التي زاد تناثرها علـــى طرف القفص بسبب الحركة الدائمة للببغاوات والتي نثرت محـــتويات طـــبق الحبوب في أرضية القفص .. بدا للحظات أنه يحقـــق تقدمـــا كاسحا لم يمنع قلبه الطيب من أن يحثه على النظر الـــى رفيقه الذي آثر السلامة ليشجعه بصيحة غير محسوبة على الإنضـــمام إليه لكي ينوله من الحَب جانب، وهو ماأفلح فيه بالفعل حيـــث بـــدأ رفيقه في الإستعداد للحركة ليلحق بصاحبه عله ينول شـــيئا يخفـــف عذابه الذي زاد بعد التقدم الشجاع لرفيقه في أرض العـــدو، فجـــأة تـــبدل سير المعركة، فصيحة الجدعنة التي أطلقها العصـــفور الشجاع أخرجت الببغاوات من غفلتهن .. فجأة نظرن الـــى أســـفل القفص لتدركن فداحة الاختراق الذي نجح هذا العدو الضـــئيل فـــي تحقـــيقه، جاء ردهن لحظيا وفاتكا، شراسته كانت بديهية فهي رد فعل على خيبة أملهن في نصر ظننه قد تحقق لهن فجاء هذا الضئيل ليكذبه بوجوده الوقح داخل حدودهن، انقضضن علـــيه بكـــل ماأوتيـــن من قوة وكأنه صار رمزا تجسدت فيه كل مخاوفهـــن وآلامهـــن، الغريـــب أنه لم يسارع بالهرب برغم أن

الفرصة كانت سانحة له، في أسوأ الأحوال كان سيطوله منقار أو اثنيـــن قـــبل أن يســـارع بالهرب مكتفيا بالقليل الذي ناله ومؤجلا الباقي لفرصة أخرى ربما تأتي بعملية جريئة أخرى، لكنه لم يفعل واســـتمر في نقر الحب وتناوله بنهم لايتناسب مع الخطر الذي لم يعد يحدق به بل حل به بالفعل، كان حجم مناقير الببغاوات يسمح لهـــن بتوجيه ضربات محكمة للمسكين من خلال الثقوب الواسعة للشـــبكةِ المعدنية التي تحيط بالقفص، لاأستطيع أن أصفه بأنه بدا مستســـلما لهن كما قد يخيل لبعضكم من حديثي فهو لم يتوقف ولو للحظـــة عـــن الاســـتمرار في نقر الحب وأكله وهو ماكان يزيد الـــببغاوات شراســـة وسعارا وإصرارا على الفتك به وهو مستمر فـــيما يفعلـــه دون أن يحاول الإفلات أو التراجع ودون أن يصدر أصـــوات تأوه، الغريب الذي أقسم بالله العلي العظيم عليه أنه كان في وسط كل هذه المعركة الشرسة يغرد بأصوات لم أسمع لجمالها مثيلا على كثرة ماسمعت من أصوات تغريد الطيور سواء ماكان مـــنها وجهـــا لوجه أو عبر وسيط مسموع أو مرئي، كان صوته الســـاحر يغطـــي علـــى أصواتهن الغاضبة التي صاحبت عقابهن الوحشـــي له، لـــم يكن بيدي ماأفعله له، كنت أتمنى أن تكون لدي القـــدرة علـــى أن أطـــير صوب القفص لكي أخلصه من براثنهن

وأطير به بعيدا إلى مكان آمن لكي أداوي جراحه التي لم يعد من العسير إدراك كثرتها، كان رفيقه يكتفي بنظرة بلهاء جامدة لما يحدث، لم يفكر الحقير في أن يفعل شيئا أي شيئ لكي ينجد رفيقه، كان من الممكن أن يفعل شيئا لو أراد ، على الأقل كان موقعه يتيح له أن يطير لكي يدفع بجسمه رفيقه الجريح بعيدا عن القفص أيا كانت النتيجة، كان موقعي لايتيح لي سوى أن أرى الجانب الخلفي من جسد العصفور البطل الذي لم يعد فيه موضع إلا وبه ضربة منقار لببغاء، لم يمنعه تثاقل جسده من مواصلة سخريته منهن بالتقاط الحب والتغريد، توحدت معه إلى حد أصبحت أحس فيه الضربات الموجهة إليه تضرب في سويداء قلبي، عندها فقط أدركت مدى عذابه، أدركت كم هو مؤلم أن تكون بطلا، آآآه، لماذا جاء سقوطه هكذا دون مقدمات ليفاجئ حتى عدواته الثلاث، لو ترنح حتى ولو قليلا، لو اختل توازنه قبل أن يسقط، لو انقطع حتى صوت تغريده ولو لحظة ليوحي بما سيحدث، لماذا يارب سقط جسده هكذا فجأة في الفراغ، الأرجح أن النهاية جاءت على إثر ضربة محكمة في إحدى عينيه، هكذا خيل إلي وأنا أحاول أن ألتقط نظرة من عينيه وهو يسقط في فراغ الحارة قبل أن يهوي جسده الدامي على مرتبة عبير لتلوث دماؤه بياضها الذي لم يكن

ناصعا، هل تصدقونني لو قلت لكم أن صوت ارتطام جسده بالمرتبة كان مخيفا لدرجة أن الحارة كلها توقفت عن الحركة، حتى ماكينة الطعمية توقفت، أقسم لكم أنها توقفت لثوان. هي نفسها الثواني التي صمتت فيها أم عبير حتى تستوعب ماحدث، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها الببغاوات قبل أن تعود لإصدار أصوات النشوة والإبتهاج، هي نفسها الثواني التي صمت فيها العصفور النذل مذهولا قبل أن يصدر أصواتا لايحتاج أي شخص حتى لو لم يعلّم منطق الطير أن يدرك أنها أصوات حسرة وبكاء، هي نفسها الثواني التي صمتٍ فيها مهزوما قبل أن أبكي على نفسي لا عليه، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها عبير قبل أن تبكي ببلاهة، هي نفسها الثواني التي صمت فيها المنجد قبل أن يحوقل. هي نفسها الثواني التي انتهت عندما لعلعت في فضاء الحارة شخرة لعلها الأعنف في تاريخ الحارة وتاريخ أم عبير، شخرة هي الأحقر والأقبح والأكثر دناءة ووحشية في تاريخ الكون كله، لم تكتف بها أم عبير بل انطلقت بوابل من الشتائم تشتم العصافير وميتين أم العصافير وديك أم العصافير، فجأة انحنت على الأرض لتلتقط حجرا وتسدد به ضربة مليئة بالغل والحقد صوب العصفور النذل الذي لم يكن قد أفاق بعد من ذهوله ولم يقو

بعـد علـى أن يفـارق حاجز الشرفة المواجهة لقفص الببغاوات القاتلات، كأن بطلا في الرماية هو الذي رمى ذلك الحجر وإلا لما أصاب بهذه الدقة منتصف رأس العصفور الذي لعله أول عصفور فـي التاريخ يقتله الذهول قبل أن تقتله ضربة حجر، حتّى أم عبير لـم تكن تتوقع ماحدث ولو كانت تتوقع لما رمت الحجر، فالمرتبة لم تكن ينقصها عصفور آخر يسقط في فراغ الحارة ليستقر جسده الدامـي علـى طرف المرتبة هذه المرة ملوثا ماتبقى من بياضها غير الناصع. كان المنظر من حيث أقف مثيرا للرثاء والإشمئزاز والحزن في آن.. لكن كل هذه المشاعر التي كانت تتصارع داخلي لم تمنع أم عبير من مواصلة إطلاق شخراتها ولم تمنع المنجد من حمل الجسدين الضئيلين القتيلين وإلقائهم إلى حيث تتخطفهما قطط الحـارة ولم تمنع الببغاوات القاتلات من مواصلة الطيران المبتهج فـي سماء القفص المحدودة ولم تمنع ماكينة الطعمية من الدوران ولـم تمنع محمد منير من مواصلة الغناء في الووكمان "وقلبي من بعـد الطيران ماحيلته إلا جناح مكسور .. دلوقتي لما باقول الآه وانت بعيد مين يسمعني".

نـص الخطـاب الـتاريخي الـذي ألقـاه فخامـة السيدالرئيس محمد أنور السادات في ديسمبر عام١٩٨١ بعد نجاته من حادث المنصة الإجرامي !

.. لكن ربنا ستر

" هي دي مصر ياعبلة"

الزمان: ظهر ٦ أكتوبر عام ١٩٨١

المكــان: مستشــفى المعادى العسكرى، الدور الثانى، أمام حجرة الطــوارئ تقف السيدة جيهان السادات والسيدات بناتها منخرطات فــي الــبكاء، كبار رجال الدولة انصرفوا منذ قليل ليجتمعوا في مجلس الوزراء بعد أن طالبتهم السيدة جيهان السادات قرينة السيد الرئيس بأن ينقذوا مصر ويضعوا مصلحتها فوق كل اعتبار. على مقــربة مــن السيدة جيهان يجلس كمال الشاذلى على مقعد ركبته مصــابة ويتمــتم يا رب احفظ حياة الرئيس.. يارب، بالقرب منه يــبكى موسى صبرى وجلال عيسى ويؤمنان على دعاء الشاذلى، بعد لحظات من الانتظار مرت كأنها دهر يخرج رجل من حجرة الطوارئ متهلل الوجه ليهتف: الحمد لله.. الريس هيعيش.. فتنطلق الزغاريد وهتافات الفرح.

مساء ٦ أكتوبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

بـيان رسمى يزف إلى الناس البشرى ويؤكد أن الرئيس يخضع حالـياً لعـناية طبـية مكثفة وإن حالته ستستقر وتجاوزت مرحلة الخطـر، بـيان آخـر يعلن القبض على جميع مرتكبى المؤامرة الفاشلة وبدء التحقيق معهم.

مساء ٧ أكتوبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

الإعـلان عـن وصـول فريق طبى أمريكى من كبار الأطباء العالميين بصحبة جمال ابن الرئيس السادات الذى كان مسافرا إلى الولايـات المتحدة، في نفس الوقت يتم الإعلان عن قرب وصول فرق طبية فرنسية وبريطانية وألمانية وإسرائيلية وأسبانية.

مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٨١:

بـيان رسـمى يعلن تماثل الرئيس السادات للشفاء التام واجتيازه فـترة الـنقاهة وعودتـه إلى قصر الرئاسة بصحبة السيدة قرينته وأولاده وبناته وسط استقبال شعبى حافل، ويتم في النشرة الرسمية للـتلفزيون إذاعـة مشاهد من العودة، وبرقيات تهنئة من كل دول العـالم، والإعلان عن وصول عدد من كبار رؤساء وملوك دول العالم لتهنئة الرئيس بسلامته.

مساء ٢٩ نوفمبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

يتصـدر النشرة خبر عن إلقاء الرئيس السادات لخطاب إلى الأمة فـي مجلس الشعب صباح ١ ديسمبر عام ١٩٨١ بحضور جميع قـيادات الدولـة والجـيش وممثلين عن جميع التنظيمات النقابية والشعبية.

صباح ١ ديسمبر عام ١٩٨١:

يقطـع التلفزيون المصرى برامجه وبعد إذاعة عدد من الأغانى الوطنـية ينـتقل المـيكرفون إلى إذاعة خارجية من مبنى مجلس الشـعب فـي شارع القصر العينى لإذاعة وقائع الجلسة التاريخية الـتى سـيلقى فخامة الرئيس خطابه التاريخى فيها، في ركن من أركـان شـرفة الصحافة يجلس المذيع أحمد سمير ليقول بصوته الجهورى:

ـ أيهـا السـادة والسيدات، هذه لحظات خالدة في تاريخ مصر، سيسـجلها الـتاريخ بأحرف من نور، ننتظر معكم وصول السيد الرئـيس إلى مجلس الشعب ليوجه خطابه إلى شعبه الذى ينتظره ويسجد لله شكراً على سلامته. بالفعل الآن يصل السيد الرئيس إلى المجلـس ويصافح كبار مستقبليه وها هو يدخل إلى القاعة ليقابل

بتصـــفيق حـــار لا مثـــيل له من ممثلي الشعب المصري، والآن نتركك مع خطاب السيد الرئيس التاريخي، فليسمع الكون كله له.

بسم الله الرحمن الرحيم

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

وكذلك ننجي المؤمنين والله يعصمك من الناس..

الإخوة والأخوات، أبنائي، شعبي، جيشي.

اخترت أن أتوجه بحديثي إليكم من بيت الشعب وقلعته، من مجلس الشعب، واخترت أن يكون هذا الحديث صادقاً وصريحاً ومن غير إعـداد ولا تـزويق.. حديـثاً من القلب.. آآ.. آآ. والحقيقة مش عارف ألاقي بداية لكلامي أحسن من أنني أقول الحمد لله..

مصـــر بخير، كتب الله لها النجاة من مجهول، ربنا أراد لها البقاء والاســتمرار فـــي أداء دورهـــا الحضـــاري والوقوف ضد كل المؤامـــرات، وأنـــا يمكـــن حســـيت بـــده وأنا على سريري في المستشـــفى، أول مـــا ربنا كرمني، كل شوية ييجي لي تقرير عن صلوات التضرع إلى الله اللي كان بيقوم بها ولادي في كل جوامع وكنائس مصر، بعضها حكى لي عنه الإخوة في الأزهر والكنيسة وبعضـــها الآخـــر جـــابهولي الأخ النـــبوي إسماعيل لإن رجالته صـــوروها لـــي بالفـــيديو مع إني كنت لغيت التسجيلات وحرقت

الشـــرايط زي مانتو عارفين بس يعني بقي للضرورة أحكام والبلد كانت على كف آآآ عفريت، ماعندكوش فكرة الشرايط دي قطعت فـــي قـــد إيـــه وقد إيه كانت بتهزني وتؤثر في دموع الناس في التلـــيفزيون وقـــد إيه حسيت بالسعادة لما سمعت بوداني الزغاريد اللـــي ملت مصر وحكوا لي برضه عن الشربات اللي اتفرقت في كـــل حتة في مصر، والعجول والخرفان والفراخ اللي اندبحت في كـــل بيـــت، كل واحد وطاقته، حتى اللي ماكانش قادر يفتح غير علبة تونة فتح تونة قلت لهم وماله أهو بيعبر عن فرحته بطريقته.

قلـــت لنفســـي أحمـــدك يارب إنك ساعدتني على الرجوع لشعبي وأبـــنائي وعيلتي عشان مصر ماتضيعش وتستمر قوية وأم الدنيا، حســـيت إن مصر كلها كانت عيلة مستنية رجوع كبيرها بالسلامة عشـــان يرجع لها توازنها واستقرارها. وده أيها الإخوة والأخوات يؤكـــد أن الحقـــد لا يبـــني شيئاً ولا يجد مكاناً في صفوف شعبنا الطيب، وأن أخلاق القرية وقيمها هي التي تنتصر في النهاية مهما تآمـــر المـــتآمرون الأوغاد وأن شعبي سيظل كما عودته وتعودته قـــادراً فـــي أصـــعب الســـاعات على مواجهة التحديات بصدق وشجاعة.

باجى دلوقتى للمؤامرة والمتآمرين الأوغاد وأنصارهم من الأفندية الأرازل اللـى بـيموتوا بغـيظهم دلوقتى، مش باتكلم على شوية العـيال اللى هم مرميين في السجن دلوقتى زى الكلاب، مستنيين حكـم العدالة اللى لازم تقتص منهم وتستأصلهم، انتوا عارفين إن احنا مابنتدخلش في القضاء وإرادته طبعاً، لكن أنا باردد اللى جوه قلـوب شـعبى، العيال دول مجرد أدوات لعقول مدبرة ربنا أراد يحبطهم، زى ما ربنا أحبط ناس كتير، مش عارف أقول مين ولا مـين، انـتوا عارفيـن كل حاجة.. القذافى والأسد ودول الرفض وبـتوع الصمود والتصدى ومش عارف إيه وبتوع الدقون وهيكل والعـيال الشـيوعيين الأرازل، كـل دول ربـنا أحبطهم بقدرته وإرادته.

أنـا عايـز شـعبى يعـرف إن أنـا كنت مستنى اللى وقع يقع، حتسـتغربوا طبعاً، والله أنا كنت مستنى اللى وقع يقع، حقيقة ليه، حاجـيلكم وأقولكم ليه... عشان مش دى أول مرة أعرف إن فيه محاولات لتدمير مستقبل مصر، أنا صحيح أقلت النبوى إسماعيل عشـان وصـلتنى تقارير إن العيال بتوعه جت لهم معلومات عن المحاولة الفاشلة وماكانوش صاحيين، لكن أنا رجعته تانى كرمال حـلاوة النصـر اللى ربى نصرها لى وقلت مايصحش إنى أقطع

عيشه بعد ماربنا مد في عمرى لإن دى مش أخلاق القرية، ومش هانسـاله إنه حتى لو المرة دى جلت منه كانت ضبطت معاه قبل كـده وتقـدروا تسألوا النبوى عن محاولات الاغتيال الكتيرة اللى أحـبطها، وأنا باقول له اتكلم يا نبوى وقول للناس عن المحاولات اللـى اتضبطت قبل كده، بلاش النبوى، أحكى لكم أنا فيه متآمرين حاولوا اغتيالى وتدمير مستقبل مصر ٣٨ مرة، ٣٨ مرة يا شعب مصر، ٨ محاولات شيوعية و ١١ محاولة ليبية و٩ محاولات من دول الـرفض و٩ محاولات متطرفة ومرة إيران. تمانية وحداشر وتسعة وتسعة وواحد يبقى ٣٨ محاولة وربنا بيحفظ مصر في كل مرة،وعشـان تـبقوا عارفين المخابرات الليبية عملت محاولة في سبتمبر عام ١٩٨١، وسموها عملية جون كينيدى، وجندوا واد من قـنا، واتمسـك، والنـبوى قال لى وأنا في المعمورة حكاية الواد والبندقية اللي عايز يقتلنى بيها زى ما اتقتل جون كيندى، كينيدى ميـن يا حبيبى، فاكرينى كروديا، إحنا مش في تكساس، إحنا في مصـر بلد الأمن والأمان، يومها قلت لجيهان.. القذافى كان عايز يقتلـنى بالبندقـية دى يـا جيهان وكنت عايز أعملها في متحف، القذافـى دوّن اللـى أعلن مسئوليته عن المحاولة الفاشلة اللى كان فاكرها نجحت، كفاية إنه في يوم من الأيام وصل فيه الإسفاف إنه

يلســن بــالكلام على أهل بيتى مع إنه كان ابن من أبنائى لما كان بيــيجى مصــر، وأستضيفه في بيتى ومع زوجتى وأولادى وكان يعامل كأحد أفراد العائلة وهو يعلم هذا لكنه رجل مريض وسيأتى الوقت المناسب لنقول كل شيء عن هذا الرجل.

قــبل كــده في مايو عام ١٩٨١ مسكوا فلسطينى جاى من سوريا معاه راديو كاسيت فيه ديناميت، يعني تشغل الشرق الأوسط تلاقيه ولــع بــيك.. وقــبل كده برضه جه تلفون من الدكتور كرايسكى للدكــتور على السمان صديقه، قبل ما أسافر أمريكا بأسبوعين في الــرحلة اللى فاتت دى على طول ، وقال له إن عنده معلومات إن في محاولة لاغتيالى وأنا في الزيارة، وبرضه ماهمنيش..

أنا كنت عارف أن رأسى مطلوبة، بس مؤمن إن الأعمار بيد الله، الوحيديــن اللى كنت باخاف عليهم هم أولادى، مرة عثمان أحمد عــثمان قــال لى بعد زيارة للمنصورة، من اللى كنت باقابل فيها شــعبى، نهدى شوية يا ريس، قلت له. إنت عبيط يا عثمان، عمر الإنسان محدد، وسأموت في اللحظة التى يشاء لى ربى أن أموت فــيها، وأنــا كنت رايح المنصة وأنا عارف إن العيال حسب كلام النبوى، بقت خطوطهم مقطوعة، خاصة بعدما هددت الواد الزمر فــي خطابى، وعشان كده مارضيتش ألبس القميص الواقى، قلت

لهــم إيــه الكلام الفارغ ده، أنا وسط أولادى... ودى فرصة بقى عشان أحكى لكم اللى حصل بالضبط لأننى سمعت كلام كتير من المغرضــين إن أنا كنت مذهول وضربت لخمة وقلت مش معقول وغــير ده مــن الكــلام الفاضى، وإن ولادى جروا ونزلوا تحت الكراســى، أنا مش هانكر إن بعضهم عمل كده فعلا لإننا في بلد مؤمن والكداب بيروح النار، هو اللى حصل من ولادى طبعاً كان تصرف غريزى وبيحصل في أحسن محاولات الاغتيال، لكن كله كــوم وإن حــد يتكلم عن شجاعة قلب أنور السادات أو يشكك في رباطة جأشه فده كوم تانى، اللى بيتكلموا دول نسيوا إنهم بيتكلموا مــع السادات اللى شاف الهوايل ومن هو صغير، اللى حصل إنى أنــا كنت باتفرج ع الطيارات وفرحان بجيشي العظيم، أولما لقيت العربــية اللــى وقفــت من بين الطابور وناس بتنط منها وصوت رصاص، عرفت أن ساعة المواجهة مع أعداء شعبى جت، وقفت بكــل شــجاعة والحمــد لله، ولما أول واد من العيال الأندال اللى هيحصــل القصــاص مــنهم قرب منى، وجت أول رصاصة في صــدرى.. آ.. آ. آ. صــرخت بكل صوتى وقلت له إزاى يا ولد تــرفع ســلاحك على أبوك انت اتجننت يا ولد إزاى تحاول تقتل الرئــيس المؤمــن اللــى أرسى دعائم دولة العلم والإيمان، الواد

والعيال اللى معاه أصيبوا بذهول ولمحت دموع الندم في عينيهم، كان هو مذهول من منظر الدم اللى نازل منى وأنا واقف بكل ثبات وشجاعة.. وكان ممكن ربنا يعدى الأمور على خير، لولا رصاصة الغدر اللى أنا عارف جت منين. والكلام ده يحكيهولكو كبير الياوران وسمير حلمى والأنبا صمويل الله يرحمهم، وفوزى عبدالحافظ ووجدى أسعد رئيس أمن الرياسة اللى لسه في المستشفى.

المهم عشان مأأفوتكوش في الكلام لما الرصاصة دخلت رقبتى وأنا باقع على الأرض لقيت نور بين السما والأرض وصوت بيقول لى.. شعبك لسه عايزك يا أنور.. اجمد.. والحمد لله آدينى واقف بين شعبى النهاردة، وربنا وفق رجالتى إنهم يعلنوا قرار إن يوم ٢٩ أكتوبر يبقى عيد اسمه عيد النجاة تحتفل مصر بيه كل سنة والعاملين في الدولة ياخدوا أجازة رسمية ويفسحوا ولادهم ويودوهم القناطر وجنينة الحيوانات ويقولوا لهم النهاردة يا ولاد اتكتب لمصر عمر جديد، لأن اللى حصل لى ماكانش هيتضر فيه حد غير مصر.

باجى بقى للناس اللى شمتت قبل ما تنجلى الحقيقة، ودول ناس ماعندهمش أخلاق القرية اللى اتعلمنا فيها إن مافيش شماتة في

الموت، وأنا باتكلم هنا عن رؤساء دول الرفض اللى مسميين نفسهم قال إيه الصمود والتصدى اللى ملوا إذاعاتهم أغانى وأفراح.. وعن بتوع الدقون اللى قعدوا يكبروا ويهللوا ويقولوا هلك الهالك. طب أما نشوف مين الهالك ومين اللى هيهلك، ولا الواد اسمه إيه آه عادل عيد اللى هتف في السجن مع الأفندية الأرازل وقال تحيا مصر، من غير ما يعرف إيه اللى كان هيحصل لمصر لو، لا قدر الله والشر بره وبعيد، كان حصل اللى حصل، هم قالوا لى إن هيكل عيط في السجن لما سمع الخبر، بس أنا ماصدقتش قلت لهم دى دموع الفرحة، وإن ماكانتش تبقى دموع التماسيح، ده هيكل ولويس التاسع عشر وشوية الأرازل اللى معاهم أكتر ناس تفرح فىّ، وكفاية الواد الشاعر البذئ اللى اسمه نجم اللى طلع أغنية حاقدة يقول فيها. لا إله الا الله مات الندل وموت دواه. أنا ندل يا حقير، في حد يشمت في الموت، هى دى أخلاق القرية.. احنا عمرنا ما كنا كده، ده بيشمت فىّ لأنه ملحد، والراجل الأعمى إمام اللى معاه ده أنا عطفت عليه وماطمرش فيه معقوله يعمل كده، ولا اللى قالوا لى عليهم إنهم بيصلوا صلاة الشكر في السجن لما سعوا الخبر، ملاحدة وبيصلوا.. على رأى المثل يعملوها ويخيلوا. باجى بقى للى قالوه العيال اللى حاولوا

ينفذوا المؤامرة، واد منهم اسمه عبد الحميد قال إنه حاول يقتلنى عشان الدولة فيها مفاسد وخمور وربا، وإن الحكومة كافرة، واد تانى اسمه عطا قال إنى باحكم بالديمقراطية اللى هى كفر وأنه خد ثقافته من كتب وخطب كشك والمحلاوى، والتالت اللى اسمه حسين قال إنه حاول يقتلنى عشان أنا شتمت المحلاوى وقلت عليه مرمى في السجن زى الكلب وأنى قلت عن حافظ سلامة إنه مجنون وشتمت النقاب وقلت عليه خيمة وإن أنا ظالم، أنا ظالم يا حسين.. طيب.. ماشي يا حسين.. أنا بقى هاوريك الظلم على أصوله يا حسين عشان تعرف الفرق بين العدل والظلم.. الراس الكبيرة بتاعتهم خالد الإسلامبولى شبهنى بالتتار وجنكيز خان وإن أنا ما بالتزمش بكتاب الله، أنا مابالتزمش بكتاب الله.. بذمتكو أنا كده.. طب أنا مافيش حد بيعشق صوت الشيخ رفعت قدى.. أنا اللى شعبى بإحساسه الوطنى لقبنى بالرئيس المؤمن، وكلكوا عارفين أنا إيه اللى عملته للدين مقارنة باللى كان موجود في أيام جمال – الله يرحمه بقى مش عايز أتكلم وأجيب في سيرة الأموات لإنه الحقيقة جالى في المنام وهنانى بنجاتى وأنا مش هاقدر أنسى له الموقف الجميل ده. ماعلينا المهم بمناسبة حكاية الدين دى أنا أذكر فيما أذكر أننى قلت مرة للدكتور البرى إن بيشغلنى كثيراً إن

كلمة الإسلام أصبحت مخيفة عند الناس، وإن الخمينى أساء إلى الإسلام في الخارج، والجماعات اللى بتسمى نفسها الإسلامية أساءت للإسلام في الداخل ومسئوليتنا نرسم صورة طيبة صحيحة للإسلام وعايزين نجتمع كل أسبوع عشان نطلع بيان باسمى للشباب المسلم والشباب المسيحى – كلهم أولادى – عشان أوضح لهم خلاصة سياستى وتجاربى في الحياة وأربط المبادئ والقيم بما جاء في الإسلام والمسيحية، هم بس زعلانين إن اللى أنا قلته صح، ومافيش أى تناقض بينه وبين دولة العلم والإيمان اللى دعيت لها. عموماً كل دولة هتسمعوا اخبارهم قريباً، عملاء دول الرفض وبتوع الدقون والأرازل والملاحدة.

وأنا باعلن من هنا عن إنشاء محكمة عسكرية اسمها محكمة التطهير لمحاسبة ومحاكمة كل من ينجرف عن الجبهة الوطنية وسيحاكموا طبعاً محاكمات عادلة..احنا مابنتدخلش في القضاء زى ما قلت وأحب أعلن عن خبر كويس بالنسبة للموقف الخارجى، الحمد لله ربنا هيتوب علينا من قرب الصراع العربى الإسرائيلى والحمد لله إنه هدى سر أخونا عرفات بتاع فلسطين اللى غلبت أقول له يا ياسر الناس زهقت حروب وقرف وعايزة تعيش وتتستر وتاكل لقمتها بعرق جبينها، ما أخبيش عليكو

عرفات اتصل بى من يومين وقال إنه وافق على إجراء مفاوضات مع أمريكا وإسرائيل وبيطلب وساطتى في الموضوع، صحيح هو طلب منى إن الموضوع يفضل سر لكن أنا ماخبيش حاجة على شعبى، وقريب هيبقى فيه خطوات جادة عشان نخلص من الفيلم ده ونستريح، وأنا قلت الكلام ده زمان... إن لو قدرنا تكون علاقتنا بأمريكا أحسن من الحجم العادى يكون أحسن.. ليه؟ لأننى أنا أؤمن أنه لا مصلحة لنا في عداوة دولة كبرى كأمريكا إطلاقاً، وأنا ماكنتش عايز أقول إن المؤامرة اللى تعرضت لها كانت تدبير من الاتحاد السوفيتى، لكن أدينى قلت ويالله، خللى الأمور تتضح.. وأمريكا هى اللى كشفت لى ده بالوثائق والمستندات، وأنا فاكر لما جانى كيسنجر وعملنا النقاط الست حذرنى بس أنا افتكرته بيبالغ، وأنا دلوقتى شايف إن ربنا وفقنا في قرار السلام وعايز أسأل... إرادة مين اللى كانت ورا هذا القرارغير إرادتنا احنا، ثقة مين اللى كانت ورا هذا القرار غير ثقتنا احنا في نفسنا، ما نخشى شيء، بتكلم مع كل مخلوق لأن احنا بنملك في أى وقت نقول آه، ونقول لأ.. لمصلحة القضية والمصالح العام، والسنين اللى حاربنا فيها كنا بنصرف من لحم الحى، ومافيش اللى بنقول عليها في الفلاحين الخميرة، الخميرة خلصت رخرة وعشان كده

كان لابد من الانفتاح الاقتصادى... والحمد لله احنا مستمرين وقريباً هتسمعوا أخبار كويسة عن توسيع دور القطاع الخاص وتطهير القطاع العام اللى بقى تكية.. ومتخافوش كله ياكل ويتبسط بس لو اشتغل، خلاص مش هيتكرر اللى كان بيحصل أيام جمال، الله يرحمه دا كان زمان، تهريج زمان ومزايدات زمان، النهاردة المواقف متحددة، وأنا باقول ده للصحافة اللى عندنا للأسف، يا إما سلبية يا إما من تحت لتحت بتحدف كلام، بلا مسئولية إطلاقاً، أنا باحكى لكم، أصلى بانفس عن المعاناة بتاعتى، أنا سبت كل حاجة، سبت الفتنة الطائفية ماشية، سبت طلبة الجامعات يهوهوا، ويعملوا مظاهرات وصحف حائط وشتايم وتصفوية وانهزامية وقالوا في محمد أنور السادات ما قال مالك في الخمر وسبت ده كله.

لكن دلوقتى خلاص، فاض الكيل، الديمقراطية لها أنياب هتوجع كل اللى يهز الاستقرار ولن أرحم، وأنا باقول للصحفيين اللى بره واللى جوه كفاية بقى، تعبتونى وسوأتوا سمعة بلدكم، أنا مابيهمنيش اللى بيتكلم في حاجة إنما ليه يسوأوا سمعة بلدهم؟ وأنا قبل كده شلت ١٢٠ صحفى، ما وديتهمش بقى على مؤسسات الدواجن زى ما حصل قبل كده ولاوديتهم الاستعلامات وما

قطعـــتش عيهشم، أنا بس كان عقابىً أدبى لأنه عيب، وأنا باقول لهم لموا نفسكم، ليه؟ لأن أنا في موقف محتاج لكل إنسان في البلد يقف معانا ويقف مع بلده..

وأنــا باعلــن عن تشكيل محكمة اسمها محكمة السلطة الرابعة. عشـــان تحــل لنا المشكلة دى. وأنا باقول للناس. احنا مش على رجليــن الــروس زى حــزب البعث السورى. احنا مالناش غير إرادتــنا وغــير أخــلاق القرية، القرية بتدى مناعة، بتدى أصالة بتحمى الإنسان، الصلابة أساسها القرية، وأنا ماكنتش أقدر أخرج مـــن المؤامرة دى سليماً معافى من غير أخلاق القرية يمكن اللى زاد أخــلاق القــرية عندى قوة هى الظروف اللى اتعرضت لها، المحنة، محنة التشريد والمعتقل زى ما قالوا في حكمة كبيرة جداً، لا يبــنى الأمم العظيمة إلا الآلام العظيمة، كذلك لا يبنى الفرد من داخله بصلابة وقوة إلا الآلام العظيمة وأنا والحمد لله عشت العديد من صنوف الآلام طول حياتى.

أنا أذكر فيما أذكر. أول ما جيت القاهرة من القرية نزلت أشترى مـــن البقال اللى قدام بيتنا، نزلت أشترى كبريت، في القرية عندنا مانقولش كبريت نقول علبة كسفريت قلت له هات علبة كسفريت، الأولاد الأرازل واقفيــن حوالــيا، هاجوا من الضحك علىّ، البقال

قـــال ما عنديش كسفريت، أنا استغربت إيه الحكاية؟ قالوا ده اسمه وظللــت مصــراً على أن اسمه كسفريت لغاية ما باع لى الراجل العلبة على إنها كسفريت برغم تهريجهم وضحكهم علىّ. أنا باقول الحكايـــة دى عشان يعرف الكل إن أنا مابتهزش، كسفريت يعنى كســفريت، سلام يعنى سلام، انفتاح يعنى انفتاح، وأنا بافكر أنقل مقــر العاصـــمة لميت أبو الكوم عشان نرسخ أخلاق القرية ونبعد عـــن أخلاق الإنحطاط والزحام، وأصدرت قرار بإلغاء العروض العسكرية خلاص وإلغاء الاحتفال بالسادس من أكتوبر مش خوف لا ســمح الله وإنمــا لأن الــباب اللــى ييجى لك منه الريح سده واســتريح.. وهاصــرف علاوة للموظفين اسمها علاوة بركة إنك بخــير.. وهــاقف ضــد أية محاولة لاستخدام الديمقراطية للعبث بمصــلحة الوطــن حتى لو اضطريت لتحويل مجلس الشعب إلى مجلــس محلى ويبقى بالتعيين، وهاعمل استفتاء على كل ده خلال الأيــام المقــبلة. وأنا عارف إنكو توقفوا جنبى في أى قرار آخده عشان مصلحة مصر.

أنــا طولت عليكم، لكن أنا كان لازم أحكى وأقول لكم كل اللى في قلــبى، وعايــزكو تعــرفوا وتفهمــوا كويس قوى إن محمد أنور السادات رئيسكم المحبوب المنتخب اللى بتفدوه بأرواحكو وبقلوبكو

مــش بيخاف من حد بيخاف من ربنا بس، وأختم خطابى بالدعوة إلى أن يتقهقر الحقد ليحل محله الحب فلا يمكن أبداً أن نعيش في مجــتمع الحقــد وإلى أن نقف صفا واحداً في وجه كل من يحاول النيل من هذا الوطن. وأن تكون هذه المحاولة الآثمة هى الأخيرة بإذن الله عز وجل.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نشرت في جريدة الدستور القاهرية
١٩٩٧

ستغضب أمي

"أمك ثم أمك ثم أمك"

ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى الذى قتلت عصافيرها. لماذا أبدأ كلامى بكذبة. لم يكن لأمى عصافير. كان لها دجاج تربيه فى الشرفة، وكانت ستقتلنا جميعا- أنا وإخوتى وأبى- لو وجدته ميتا.

ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى أنا الذى سرقت علبة أساورها. لازلت مصرا على الكذب. لا تمتلك أمى علبة أساور ولاتمتلك أساور أساسا، كل ما تمتلكه سلسة ذهبية وخاتم فضى لم تغيرهما ولم أرها يوما منذ كنت طفلا وحتى الآن وهى لا ترتديهما.

ستغضب منى أمى كثيرا لو علمت أننى أضرب إخوتى .

كذبة سخيفة. فهى تعلم أننى أضربهم وتعلم أننى شخصيا أضرب كل يوم من أبى، ولا تملك هى إلا أن تقول بصوت واهن من فوق مقعدها المفضل على كنبة الصالة:

"بـــس يـــا ولـــد. بس يا بنت" عندما أضرب إخوتى، و"بالراحة يا محمود. حرام عليك" عندما يضربنى أبى.

ستغضـــب منى أمى كثيرا لو علمت أننى أسهر كل ليلة لأبكى فى غرفتى.

يا لغبائى.. طبعا لن تغضب .. فليس لي غرفة خاصة .. ولاأمتلك رفاهية السهر فأنا مجبر كل يوم على النوم مبكرا للاستيقاظ مبكرا والذهاب الى المحرقة التي أعمل فيها لكي أكون كما يقولون رجلا يعـــتمد علـــيه .. ليس لي إخوة أضربهم .. فأنا وحيد كليل أرخى سدوله ..

أمي لن تغضب أبدا .. هذه هي الحقيقة .. .. أمي الآن راضية .. وأنا أحسدها .. أمي ماتت منذ ثلاث سنوات .. يابختها.

أمـــي لـــم تمت منذ ثلاث سنوات .. يالغبائكم لأنكم صدقتموني .. ليتني كان لي أم يوما ما كي أكتب عنها قصة تعجبكم.

القاهرة

١٩٩٦

كناس من الناس

" الآخرون .. ولاد كلب زبالة "

تعـــب مـــن لـــم وساخات الناس فجلس يلملم نفسه محدقا فى اللاشــيىء. صــديقه الرصيف وبطاقة ائتمانه المقشة وحلمه "أن نكون زى بلاد بره. نحترم نفسنا ونبطل نتف فى الشارع. عارف أنـــا لو تديني ورق الدنيا وترابها ألمه وأنا متكيف. إنما ألاقى بيه متعـــنطز ونـــافخ لى نفسه يتف فى الشارع وأناأشيل خراه. أبقى متعكنن طول اليوم وعايز أحط المقشة دى فى ....."

إســـمه شعبان أوشحاتة أوعبده. لاشيئ يهم. المهم أنه يسأل الله ألا يـــأتى توزيعه فى الخدمة أمام شيراتون الذى"بقى له شهر بيكنس قصـــاده" ليه يا عمنا؟، أصل شيراتون دى مالوش صاحب. يعنى أنـــالو باكنس فى حارة فى الجيزة ولا بولاق هاستنفع من ده ربع جنـــيه ومن المعلم ده نص جنيه وتمشى.. إنما هناهاطلع آخد من الحـــاج شيراتون فلوس.. على النعمة يشمطونى لو عتبت سانتى جـــوه" مخلـــف ياعمنا؟ "تسعة وحياتك.. وماتقوليش ليه.. الخلفة عـــزوة . ٥مـــن عيالى بيشتغلوا وكل واحد بيساعدنى.. والكبير

هيــتجوز ويقعد معانا.. حكومة مين يابه اللى اسمع كلامها.. دول منشفين ريقنا عشان بدل الصحة اللى طالبينه بقى لناسنين وهرينا نفسنا إضرابات ولا حد عبرنا. تقول لى إسمع كلامها دول بيدونى ١٠٠جنــيه ولــولا فلــوس عــيالى وشغلانة مصنع الطوب اللى باروحهـــا فـــى يـــوم أجازتى وآخد يومية ٤٠جنيه ماكنتش أقدر أعيش".

بتشـــوف إيـــه فى التلفزيون؟ ساعات أشوف الشيخ الشعراوى الله يـــرحمه.. إنمـــا ماليش تقل على السهر.. أنا بانام الساعة تمانية ولاتســـعة بالكتـــير.. عشـــان أقـــدر ألف طول النهار أنضف فى وســـاخات شـــوارع مصر.. عمرى ما رحت السيما وباينى مش هاروحهـــا.. لعلمـــك أنـــا أعـــرف أقرأ وأكتب وكنت شاطر فى المدرسة بس طلعت من ساته.. الظروف يابيه".

"أقول لك الحق.. أكتر حاجة تضايقنى إن الناس مابترضاش تسلم عليا.. متهيأ لهم إنى مليان أمراض.. آه ياولاد الكلب.. ده انتو من غيرى تعيشوا أوساخ وتموتوا أوساخ".

شارع سعد زغلول

١٩٩٩

لا حب تحت المطر

" انتظر جثة حبيبتك على النهر"

نهـــار آخر غائم وممطر.. برد تصطك له القلوب.. يغيريني دفء الســرير أن أنسى موعدنا لكن وجهك يجذبني بعنف محبب فــأنفض كســلى وأغــادر فراشي لأصطدم خارج الغرفة المغلقة بوحشــية الصقيع.. أقحم رأسي تحت الحنفية لأغسله بماء شككت أنه ثلج لفرط قسوته.. أتأنق مسرعا.. أنظر إلى وجهي المجهد في المــرآة المشــروخة..كــدت أكتئب لكني إبتسمت عندما خيل لي وجهك جميلا حنونا يلمع في النصف الآخر من المرآة.

تغلغلــت بــرودة الهــواء فــي مصاريني وأنا أنزل السلم جعان ياكبدي.. وما إن خرجت من باب العمارة حتى تذكرت أن أمامي نهاراً ممطراً لأجتازه.. كان الفضاء يتصبب ماءا.. والسماء تبدو مــتجهمة كالحــة تعــد بالمزيد من المطر.. والرعد يهدر محركا الخــوف والقلــق.. وكــان شارعنا الضيق يسبح في الماء العكر والطيــن يحيطه تاركا شريطا ضيقا لا تؤمن مزالقه.. إستجمعت حذري وأخذت قدمي تتحسس ما تبقى من أرض جافة مستنداً حينا

إلى بعض الطوب حتى عبرت إلى الشارع الرئيسى كانت محطة الأتوبيس مقفرة من الناس الذين هربوا إلى مدخل العمارات القريبة يختبئون من البلل.. لم أجد مكانا خاليا فوقفت تحت المطر أنتظر الأتوبيس وأفكر فى رموشك الجميلة.

فى عز المطر يذهب أبناء الأغنياء بالعربات الفاخرة إلى مدراسهم هازئين من الجو يستلقون على المقاعد الوثيرة بطونهم دافئة بسندوتشات الجبنة الشيدر وترامس الكابتشينو والشاى الحليب.. وإبتسامات متحدية تملأ وجوههم المتوردة.. خروجى اليوم إليك يذكرنى بنا نحن الفقراء أطفالاً عندما كنا نذهب إلى المدرسة فى الصباحات الممطرة.. نمشى كالمجانين فى الشوارع حاملين أحذيتنا فى أيدينا وحقائبنا المهترئة مليئة بالكتب وسندوتشات الجبنة القريش مع بعض الخيار تثقل ظهورنا وأقدامنا تخوض فى برك الماء المتسخ ونرش بعضنا بالماء.. نهزأ من أحد المارة ينظر لنا بوجه متجهم خوفا أن يصيبه بعض الماء ويقول لنا "مش تخلوا بالكم من الجراثيم" نتمهزأ به فنقول بلهجة فلاحية ساخرة "إوعى يا واد يا عيد من البلهارسيا ياوله.. إدى ظهرك للترعة" فيضرب الرجل كفاً بكف لاعناً التربية الوسخة.. فى ساحة المدرسة بركة ماء ضخمة تعطى فرصة لا تقاوم فى مسابقات

الرماية وتلطيخ ثياب زملائنا ميسورى الحال.. وكنا وقتها نمارس الحقد الطبقى دون أن ندرى.. كان أحدنا يسحب أحد هؤلاء الأولاد إلى قرب بركة الماء مفتعلا حديثا ما.. وما إن يعطينا الولد ظهره حتى تنهال عليه الصواعق المائية تقذفها بأحجار ثقيلة تطرطش عليه فيملأ شعره ووجهه وثيابه بالماء القذر فيسب آبائنا مهدداً إيانا بالناظر ونستلقى على ظهورنا من الضحك.. لست أنسى ذات يوم ثقل الواجبات المدرسية. اخترت موضعا زلقا بالطين وافتعل زحلقة مروعة فتبعثرت بحقيبتى على الماء حريصا على تمريغ أكبر قدر من ثيابى وكشاكيلى.. أدخل على المدرس وسط ضحك الزملاء وقد استحلت مخلوقا قذرا وأنا أبكى بحرقة يسبقنى جعير محروق ولا يملك الأستاذ إلا أن يطيب خاطرى وأنا أؤكد له أسفى على الواجب الذى سهرت عليه ليلة أمس فيعطينى أجازة. أذهب إلى البيت وأغير ملابسى.. وأشكره فى أدب لا نظير له.. وزملائى يتغامزون ويتلامزون ويلعنوننى.

....

فى عز المطر يعتذر الأغنياء عن مواعيدهم العاطفية خلال أسلاك التليفون وهم قابعون تحت البطانيات الصوفية المشتعلة دفئا.. أما

أنا فلا أملك إلا أن أجيب موعدك. ليس لأنى لا أملك تليفوناً ولكن لأنى لا أضيع فرصة للقائك حتى لو كانت فى الجحيم ذاته.

أقذف بنفسى فى الأتوبيس وسط الأجساد المتلازة.. أتجاهل الإلتصاقات العنيفة مفترضا حسن النية تدفئنى الأنفاس الملتصقة بى لكنها تقرفنى ويهرشنى شيئ ما فى قدمى فأعجز عن بلوغه بيدى فأحاول ذلك بقدمى لكنها تقع على حذاء واقف بجوارى.. يزغزنى ببصره فأنسى الهرش وأبتسم. لست أدرى ما الذى جعلنى فى مثل هذا الموقف أتخيلنى وسط مروج خضر تجرى من حولها الأنهار أغنى لك بصوت ملؤه الحنان ولا خوف فيه أغنية فيروز الشهيرة (راجعين ياهوى راجعين) زال تخيلى تماما مع رائحة غير عاطفية بالمرة أطلقها أحدهم مساهما فى زيادة دفء الجو المحيط بنا.. إستنشقت الرائحة متمهلا ورجحت أنها ناتجة عن طبق فول بالبصل الحراق- وكأن الفقراء يأكلون غيره-.. يقولون أن الفقراء لم يعد لهم عيش فى هذا البلد.. هل تصدقين ذلك.. أنا شخصيا لا أصدق وإلا كيف عاش أجدادنا فى عهود المجاعة وعصور الجفاف وأزمنة قراقوش ومن على شاكلته.. لن أسترسل فىالحديث عن السياسة فى الأتوبيس لأننى أكره حديث السياسة فى الأماكن المزدحمة لأسباب أنت تعرفينها.

يصل الأتوبيس بعد لأى إلى الحامعة أحشر نفسى مع النازلين.. يصكنى الهواء البارد وتنهمر على جسدى رشقات المطر.. أعبر الشارع مسرعا حذراً.. أستشعر ثقلاً فى أنفى.. هى بشائر البرد دون ريب.. يعقد البرد معى دوماً معاهدة أزلية.. يزورنى مع تباشير الشتاء فيطبق على أنفاسى حتى بزوغ الربيع.. ولا مانع من زيارات متكررة بقية العام.. حسن.. لنقل فى رومانسية مفرطة.. ماذا يضير البرد وشمسك ستدفئ روحى عن قريب.

أخرج البطاقة الجامعية لموظف الأمن المتجهم دوماً.. أسير متلفتاً فى بلاهة.. هل أطمع أن تأتى مبكرة عن موعدك.. مبكرة بنصف ساعة.. لا أعتقد.. أتذكر أنك ستقطعين رحلة أقسى من التى قطعتها.. تأخذنى القشعريرة وأنا أتخيلك فى زحام الأتوبيس.. وأنا أتخيلك مع وحوش أعماها الشبق عن كل شيئ.. وأنا أتصور الرياح المثلجة تعصف بجسدك الضئيل.. يمنعك حمل أوراقك من إدخال كفك فى جيبك طلباً لبعض الدفء.. يسرى الصعيق فى عروقك.. والمطر يتساقط على وجهك النورانى.. ينتهك حرماته ويحيل حمرته الأثيرة لدى الى شحوب برضه سأحبه.. ليتنى كنت مظلة تطير فوقك دون أن تكلفى نفسك حتى عناء حملها تتلقف

عنك حبات المطر تشتتها يميناً وشمالاً. أونسمة هواء دافئة تمنحك
بعض الدفء فتسيرى فى إرتياح مسرعة حتى أراك.
يقطع حبل التمنى لدى مشكلة عويصة تستجد برؤيتى لمكان لقاءنا
المنتظر.. مكان مكشوف لا ساتر به يدرأ عني هجمة المطر الذى
لا يهـدأ.. لوتوقعـت ذلـك لقلت لك نلتقى تحت القبة عند قاعة
الاحـتفالات الكبرى نجلس عند بابها كما يفعل الباقون من عشاق
الجامعـة.. لكنك كنت سترفضين لا شك.. تتجنبين دائما أى تشابه
مع قريناتك من البنات ذوات الملابس المتهتكة والماكياج الرخيص
الكثيف.. يلزقن فى أجساد أصدقائهن ويضحكن متغنجات ثم يبكين
بدمـوع وهمـية.. ولا تحمر خدودهن إذا ما زحفت الأيادى نحو
أيديهـن أو حتى نحو أفخاذهن.. أما أنت فخلق آخر.. سكة ثانية..
لـيس فيها إصطناع أوغنج و رخص.. تحافظين دائما على مسافة
ثابـتة بيننا وترفضين دائما أن نجلس.. تصرين على الوقوف لكى
لا يفهمـنا الناس خطئاً كما تقولين.. كنت أتضايق بادئاً بسبب ما
تعـودت علـيه مـع الأخريات.. لكننى أصبحت أتيه فخراً بعدها
عـندما أرى نظـرتك المتوثبة عندما يزيد إقترابى منك عن الحد
المـألوف..تملأ قلبى طمأنينة لا حد لها.. وتنفتح أمام عينى طرق
آمنة لا نهائية لمستقبل مشرق نظيف لم أحلم به قبل رؤياك.

حسـنا إذن سـأحتمل كـل هذا المطر لوحدى.. لا يهم.. عقارب
السـاعة تـزحف ببطء نحو موعدنا.. كأنما الصقيع أثقل حركتها
فسـارت بـبطء حتى ثبت أقصرها عند تمام التاسعة بينما واصل
الآخـران حركتهما البطيئة مع تفاوت غير بعيد الأثر.. لم تصلى
علـى غير عادتك فى الإنضباط أو المواعيد الإنجليزى كما كنت
أسميك كلما عاتبتنى على تأخر دقيقة أو دقيقتين.
عقـارب السـاعة يواصـل بطئها اللعب بأعصابى.. فأقطع مللى
بـتذكر فـيروز مجـدداً وهى تغنى عن تلك الفتاة التى (نطرت)
حبيبها بالصيف والشتاء.. إبتسمت لإنقلاب الآية وأنا أترنم (حبيتك
بالصـيف.. حبيتك بالشتاء).. المطر واصل عمله دون كلل ودون
أن يعـبأ لملابسـى الـتى نفذ الماء منها إلى داخلياتى.. ملابسى
الداخلية وليس داخليات جسمى بعد.. أواصل الغناء ممازحا نفسي
الأمـارة بحـبك (يـيجى هـاك الولد من بيته العتيق.. وتقول له
انطـرنى وينطر عالطريق وتروح وتنساه ويدبل بالشتى).. أطرد
خاطـر الذبـول بالشتاء من مخيلتى رغم مرور ربع ساعة على
موعدنـا الأصـلى مطمئناً نفسى أن الذبول يقترن عادة بالجفاف
والقحولـة- آتـية مـن قـاحل- أما أنا فكيف أذبل وملابسى لو
عصرت لملأت كوزاً كبيراً بالماء حتى الثمالة.

تشاغلت عن حالى بتذكر الخناقة التى اشعلتيها مع أخيك الأكبر حول مصطفى كامل.. أسألك بجدية مصطفى كامل اللي بيغني فتنظرين لى فى دهشة "مصطفى كامل.. الزعيم الوطنى الكبير".. أستغرب فى داخلى.. وأطلب تفصيلاً فتحكين كيف سخر من فيلم مصطفى كامل الذى عرضه التلفزيون مؤخراً وكيف انتقلت سخريته من أداء الممثلين إلى مصطفى كامل وكيف قال فى تبجح- كما وصفته- "عمل ايه للبلد سى مصطفى ده.. كلهم كدابين بياعين هوا" وكيف دخلتى فيه شمالاً مذكرة بدور مصطفى كامل الوطنى.. مصمص شفتيه إستهزاءاً "أهوه كلام مدرسين التاريخ ده هوه اللى واكل دماغكم" لم تسكتى.. اندفعتى فى حماس "على الأقل عمل حاجة لبلده.. أحسن منك مالكش غير القعاد على القهوة ".. شتمك هاماً بضربك لولا تدخل أخيك الأكبر.. وانفلقتى أنتى بالبكاء على مصطفى كامل وقرأت له الفاتحة.. تتزاحم كلمات الإعجاب والحب والفرحة على لسانى فأخرج منها ما تيسر وما لا يتجاوز الحدود.. أسألك عن مصطفى كامل فتؤكدين حبك له منذ قرأت عنه فى المدرسة.. وكيف أنه مات شاباً وهو يضحى من أجل وطنه.. احسده وتقفز إلى خيالى صورتى وأنا أقف فى حشد هائل من الناس بساحة الأزهر يشتعلون حماسة ووطنية وأنا

محمول على الأكتاف أزعق بأعلى صوتى " لقد خلقنا الله أحراراً ولن نورث بعد اليوم.. مصر والسودان لنا وإنجلترا أن إمكنا.. تعلن شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية" يختلط لدى حابل الوطنيين بنابلهم.. المهم أننى كنت أهتف لمصر وأنت تهتفين باسمي خلف مشربية .. بعد لحظات رأيتك وأنت تقودين مظاهرة لغوانى يحتجنه وأنا واقف أقرب جمعهنه .. ثم رأيتني فى قناة الجزيرة وأنا أخطب في برنامج الاتجاه المعاكس ضد معاهدة كامب ديفيد واتفاقية أوسلو ووادي عربة وأنت تشاهدينني في الليفينج روم وأنت حامل فتزغردين وتهتفين لى وتدعين الله أن يحفظنى ذخراً لمصر.. أعود من خيالاتى لأنظر للناس يمشون حولنا فاسأل نفسى فى فخر كم من هؤلاء الأغنام السائبة يتذكر مصطفى كامل أو حتى يعرف عنه شيئا .. لربما لو سألت شابا من هؤلاء عن مصطفى كامل لقال لك : آه باحب له أغنية السلام أمانه... ترى ياقمري هل يتحدث أحد من العاشقين فى دنيانا عن مصطفى كامل وما فعله لمصر مثل مانفعل اسم النبي حارسنا وصايننا.. ربنا يخلينا لبعض.

مع تمام التاسعة والنصف أعلن تشبثى بحبك حتى النهاية.. لكننى أتساءل بإلحاح عن سر تأخرك.. تتزاحم فى مخيلتى إحتمالات

المرض فأطردها - صحتك حلوة والحمد لله - واحتمالات ممانعة الأهل فأستبعدها - لماذا سيمانعون في هذا اليوم بالذات - واحتمالات زحمة المواصلات فأنفيها – المسافة من التونسي الى الجامعة لاتتجاوز بأي حال من الأحوال الساعة هذا لو كنت ماشية فما بالك بالأتوبيس الذي يأخذها في ربع ساعة ونيف.

.. مع حلول العاشرة إلا الربع بدأت الشكوك تثور في نفسي تلومني وتشد أذني لأنني أرفض دائما أن أصون كرامتي من قبل حبي، تقول لي نفسي اللوامة: كم مرة في مشوارك العاطفي الدامي معها ضبطتها متلبسة بانتظارك، ولامرة .. دائما أنت الذي تترقب حتى توجعك رقبتك، دائما أنت الذي تكتب لها قصائد الغرام والحب والشوق.. كم مرة في مشوارك العاطفي الدامي معها ضبطتها متلبسة بكتابة قصيدة فيك .. قصيدة إيه .. قل متى كتبت ولو بيتا من دور واحد. كم مرة حدثتك عن أحلامها بمستقبلكما سويا .. كم مرة سألتك عن الأسماء التي ستطلقها على أطفالكما .. كم مرة تخيلت معك شكلا لعش العصفورة الذي سيجمعكما .. كم مرة قالت لك أن شعرك شكله حلو اليوم .. كم مرة قالت لك أن في عينيك حزنا يأسر قلبها .. كم مرة قالت لك

أنها عندما تسمع أنا لك على طول تفكر فيك .. كم مرة لمست يديك قصدا بدعوى أنها صدفة.

كم مرة .. دائما أنت

كم مرة .. دائما أنت

كم مرة .. دائما أنت

أنت المتفرد بصبابتك المتوحد بعنائك المستوحش ليلا المهرول صباحا المليئ شوقا القريب دموعا المليئ وجدا ... ووهما.

ماهذا الكلام السخيف .. لماذا تركت الشيطان اللعين يستبد بك .. لماذا اندفعت وراء خطيئة الغضب ورحت تثأر لنفسك منها لمجرد أنها تأخرت عليك فرحت تهلهل قصة غرامكما الجميلة وتنسى كل لحظة حلوة عشتماها سويا ولاترى في عينيها الحبيبتين إلا القذى .. أف لك.

"يخرب بيت أمك ياله .. إيه اللي موقفك هنا في الطل"

فجأة قفز صوت حسين درديز زميلنا في الكلية ليوقف صراع الغرام والكرامة في داخلي، دهمني صوته أولا قبل أن يدخل هو بسلامته الى الكادر يسعى مصدّرا للكون ابتسامة غتيتة، لم يكن ينقصني إلاه، أي صباح عجيب الشأن هذا، ربنا يعديه على خير..

لم أجد ماأقوله له سوى همهمات لامعنى لها لم تفلح في جعله يخرس فمه .. عاجلني بطعناته واحدة تلو الأخرى دون أن يدع لي فرصة لما هو أكثر من الهمهمات " إيه اللي مبهدلك كده ياله .. أمال إيه اللي بيقولوه إن حالك اتعدل وبقيت صحفي قد الدنيا .. يخرب بيتك .. تلات سنين ماشفتكش .. مش تبقى تسأل علينا ياله .. إيه اللي رجعك الكلية تاني .. جاي تطلع شهادة م الكلية ولا تعمل حوار مع دكتور من الدكاترة .. ماتعمل حوار مع أخوك حبيبك .. مانا برضه معيد ومسيري هابقى دكتور ولا أنا مانفعش .. ماشي ياعم براحتك .. إنت عامل إيه دلوقتي"

تبدلت الأرض غير الأرض والسماوات والبنايات وحبات المطر وبلوزات البنات وأوراق الشجر وطين الشوارع .. تفاصيل عادت إلى الذاكرة فجأة لتتزاحم مع تفاصيل أخرى قديمة كانت هي التي تتصدر واجهة الذاكرة .. وجه حسين دردير اختفى وحلت مكانه علامة استفهام .. هاهي أراها جيدا .. حتى بأمارة النقطة التي أسفلها .. غريبة هل لازلت واقفا في مكاني أستمع لابن الوسخة.. إذن من هذا الذي يذرع الجامعة جاريا باكيا .. ألا يشبهني .. إنه

أنا.. أليس كذلك.. ماالذي يحدث لي .. هل أنا الآن أتكلم أم أستمع أم ألطم على خدودي ..

" فاكر ياله أيام الكلية .. ماوحشتكش .. فاكر البت أميرة اللي كنت بتحبها .. يابن الذين .. عمري ماشفت حد حصل له اللي حصل لك .. لحد دلوقتي ماعدتش عليا حكاية زي حكايتك .. تديك الصابونة يوم ماتطلع النتيجة .. قعدت تعمل لها في ملخصات ومذكرات لحد ماطلعت التانية على الدفعة زيك بالضبط بنفس تقديرك ودرجاتك .. زي ماتكونوا شاخين في بق بعض وبعدين شاخين في ورقة الإجابة سوا .. عمرها ماحصلت دي .. فاكر ياعيني لما جيت الكلية جري شايل جرنان الجمهورية عشان توريها صوركو اللي نزلت مع نتيجة أوائل كليات الجامعة .. إيه ياله انت فقدت الذاكرة ولا إيه .. فاكر لما لقيتها بتوزع شوكولاتة خطوبتها على ابن خالتها سعيد .. فاكر لما قلنا لك لو عيطت هنضربك .. فاكر لما جريت على السبورة بتاعة السكشن وكتبت أغنية حبيبي سكر مر طعم الهوى .. فاكر لما دخلت عليك السكشن قرت اللي انت كتبته وادتك حتة شكولاتة .. يخرب بيت أهلك ياله .. كنت فاكرك مش هتقوم منها .. بس طلعت راجل

يالـــه ولـــو إنـــك ســـاعات بتحن للخولنة وتكتب عنها في العمود بتاعك.. دي ماتستاهلش اللي زيك .. انت عرفت إنها اتطلقت ولا لأ .. أهـــي دلوقتـــي حتة مذيعة معفنة في صوت العرب كل اللي بتعمله تقول كنتم مع وموعدكم الآن مع .. ده انت أمك داعيالك .. شوف ربنا كرمك إزاي .. إيه ياله مالك .. انت مبهدل نفسك كده ليه .. هدومك مبلولة كده ليه .. إنت كنت واقف في المطرة".

شارع سعد زغلول

٢٠٠١

وجه فى السماء

"اللي يبص لفوق يتعب"

كـــم أحب الكتابة فى ضوء القمر.. دافقة تجيئ الكلمات تحت ضـــوئه. كأنـــه يمدك بقوة خاصة أو ينفث فى كلماتك شحنا فريدا **يشـــعل** الحـــياة فـــى مـــا تكتبه. عزمت اليوم على الكتابة.. كنت **أستبشر** بالليالى المقمرة الخالية من السحب.رتبت أفكارى.. تخيلت **أحـــداث** قصـــة طويلة.. جهزت أقلامى وأوراقى.. أخذت ملاءة **قديمـــة** واتجهـــت نحو النهر.. ستكون قصة فريدة تلك التى تكتب **على** شاطئ النيل وتحت ضوء القمر ستبز كل ما كتب السابقين.

فرشـــت ملاءتى.. رتبت جلستى ثم رتبت أفكارى.. نزعت غطاء **القلـــم** جريـــته.. كتبت رقم (١) فى مطلع الصفحة.. سميت الله.. **نظـــرت** إلى النهر.. وضعت يدى على مطلع الصفحة الناصعة.. **بـــدأت** فـــى الكتابة (تفنى الذكريات ولا يدوم إلا وجهها المنير..) **همـــت** أن أواصل لكن الصفحة أظلمت فجأة.. كذلك المكان من **حولى**.. رفعت بصرى إلى السماء.. لم أجد القمر.. كان قد اختفى **خلف** سحب داكنة لا أدرى من أين جاءت.

ضـــربت القلـــم فى صفحة الاوراق مغتاظا.. رفعت نظرى مرة **ثانـــية**.. تأملـــت تشكيل السحب حانقا.. صعقت.. خيل إلى لوهلة **أنهـــا** انتظمـــت على هيئة وجه مختلط الملامح تطل منه إبتسامة **ساخرة** متحدية ولا يطل القمر من خلفه.

دققت النظر أكثر من مرة.. تثبت من ظنى.. تسلل الخوف إلى داخلى.. جمعت أوراقى بسرعة.. نظرت حولى فى فزع.. طويت الملاءة وغادرت المكان مسرعا.. لكننى تذكرت أننى نسيت قلمى عدت مسرعا لأخذه.. بحثت عنه فى كل مكان فلم أجده..

نظرت إلى السماء.. كانت السحب قد اختفت فجأة.. فكرت فى العودة إلى الكتابة.. لكننى كنت قد فقدت قلمى..

استدرت عائدا.. ومن داخل النهر انبعث صوت من مركب تحمل تابوت ميت: وأهله يرحلون إلى الضفة الأخرى حيث المقابر..

جاءنى الصوت هادرا:

(يا دايم.. أنت الدايم.. ولا دايم إلا الله)

أسرعت فى الرحيل.. غامت السماء ثانية.. هممت أن أنظر إليها.. لكن قلبى أنقبض.. فلم أفعل..

ياديم .. أنت الدايم .. ولادايم إلا الله

رأس البر

١٩٩٤

أوراق سرية تنشر للمرة الأولى والأخيرة من ملفات التحقيق الذي تم إيداعه في غياهب النسيان

ليلة اغتصاب مادلين أولبرايت!

ـ فقـــرات مـــن الصفحة التي تم إنقاذها من مذكرات كبير مساعدي سموه السيد نصير ساويرس:

"... لســت أدري أي عفريت ذلك الذي ركب سموه في ذلك اليوم الأغبر،أقسم بكل المقدسات أنني لو كنت أعرف أن الأمور ستصل الــى ماوصـــلت إليه لما قمت بإتمام ذلك اللقاء من أصله أيا كان الثمـــن الذي كنت سأدفعه، لكنت قد اعتذرت للأمريكان بأن وعكة صـــحية طارئة أصابت سموه، حتى لو كنت متأكدا أن لديهم أدق التفاصـــيل عـــن حالته الصحية لحظة بلحظة، لكنني كان لابد ألا أسمح لذلك اللقاء أن يتم.

الآن وبعـــد أن حـــدث ماحدث أتعجب كيف لم أتوقع أن شيئا غير طبيعـــي ســـوف يحدث، كيف وأنا الذي لاحظت أن سموه منذ أن عرف بموعد اللقاء المرتقب مع مادلين قبل أسبوع كامل من اللقاء أصـــبح شخصـــا آخـــر غـــير الذي أعرفه. كيف تعاملت مع كل تصـــرفاته المريبة بشكل عادي، لماذا اعتبرت أنه من الطبيعي أن

يقوم بتكليف مسئولي التلفزة في البلاد بإعداد شريط فيديو كليب مصور لجميع اللقطات التي ظهرت فيها أفخاذ السيدة مادلين أثناء لقاءاتها الرسمية منذ أيام عملها في الأمم المتحدة وحتى آخر لقاء مذاع لها عبر وكالات الأنباء عند زيارتها لجيراننا.

كيف تعاملت بشكل طبيعي مع قيامه بإرسال طائرة خاصة الى فرنسا لإحضار واحد من أشهر مصوري من يطلق عليهم البابارازتي، والذي يقولون أنه هو الذي التقط أشهر الصور الغرامية للفقيدين ديانا ودودي، وقام سيادته بدفع مبالغ طائلة له مقابل أن يحضر له صورة عارية أو شبه عارية أو حتى بقميص النوم لمادلين، ولم يكذب الرجل خبرا فأحضر له صورة لها وهي ترتدي مايسمونه لدينا في الإسكندرية بالشلحة أو الكومبيليزون، وقتها ظننتها نوعا من دعابات سموه الثقيلة خاصة عندما أمر سموه بتكبير الصورة بحجم يقارب حجم شاشة السينما وقام بتثبيتها على حامل إعلاني مواجه لنافذة غرفة نومه المفضلة لديه في قصره المفضل لديه، لكي يطل على الصورة كل مساء عندما يستيقظ وكل صباح قبل أن ينام. أذكر يومها أنني أصبت بذهول عندما استدعاني سموه بجدية شديدة أقلقتني وقال لي أنه يطلب من المخابرات أن تقوم بتصفية البابارازتي اللعين الذي خدعه وقام

بفبركة الصورة، وبحماس شديد شرح لي سموه كيف اكتشف تلك الفبركة بعد طول تمعن، حيث اكتشف أن هناك نتوءا بارزا فوق ركبة مادلين كان يراه دائما في صورها وكان يعتبره محببا الى نفسه، لكنه اكتشف عدم وجوده في صورة البابارازتي التي دفع ثمنها غاليا وفقدت بسبب عدم احتوائها على النتوء جزءا كبيرا من سيكس أبيلها. وقتها تعاملت أجهزتنا مع الموقف بما يستحقه وأخذت حق بلادنا من المصور اللعين الذي مات في حادث سيارة في نفس النفق الذي استشهدت فيه المرحومة ديانا وهو ماأصر عليه سموه الذي هدأ نفسا عندما قام واحد من أبرز خبراء التصوير الفوتوغرافي وخدع الجرافيك بعد عمليات فنية معقدة تكلفت مبالغ طائلة بإضافة النتوء الى الصورة كحل مسكن الى حين حضور مادلين نفسها بنتوئها ذات نفسه الى بلادنا.

الذكريات تتداعى إلى ذهني الآن وتكاد تقتلني غما. كيف غاب عن ذهني ذلك اليوم الذي كاد سموه يبكي فيه بين يدي وهو يقول لي بتأثر بالغ" أفخاذ هذه السيدة ستقتلني يانصير.. منذ أن تولت منصبها في الأمم المتحدة وعندما كنت أراها في نشرات الأخبار كنت أقول لنفسي مستفزا مابال هذه السيدة الحيزبون تفخر بلحمها الجملي المتجلد .. لماذا لاتستر نفسها وتستر سمعة بلادها التي

لاينبغي أن تذكر إلا بكل خير .. ظل هذا موقفي عدة سنوات حتى جــاء اليوم الذي اكتشفت فيه كم كان ماأعتقده جهلا فادحا مني .. وكــيف أن كــل ماكنت أدعيه من علم بالنسوان اتضح أنه قبض الــريح .. وكأنــي لم أدخل دنيا قبل أن أراها .. كان لقاء سريعا علــى هامش زيارتي الأولى للمشاركة في أعمال الجمعية العامة للأمــم المــتحدة .. لم تكن هي التي تتصدر اللقاء .. كانت تجلس إلـــى جوار وزير خارجية بلادها .. كنت أتحاشى النظر اليها لكي لاأنظــر اليها نظرة احتقار قد تؤثر على مصالح بلادنا .. وربما كان حرصي على منع نفسي من النظر اليها هو الذي جعل عيني تــنزلق إلــى حيث انحسرت جيبتها الضيقة عن بواطن فخذيها .. لحظــتها أضاء أمامي مابين المشرق والمغرب واندفع شلال من الدمـــاء الحارة في عروقي التي حسبتها قد وهنت .. كانت ترطن وغــيرها يرطن والمترجمون يرطنون وأنا أتردى في هوة سحيقة لاقرار لها .. أحاول أن أكبح جماح رغبتي في إمعان النظر اليها بــل إن شئت الحق في تقبيل فخذيها المستحيلتين.. بنت الصليبية كأنها أدركت حالي فأخذت تضع رجلا على رجل ليتبدى لي ذلك النتوء الجبار وكأنه مارد من الجن خرج من قمقمه ليضعني مكانه

ويتملكنـــي سحره .. كانت كلما اعتدلت في جلستها انقلبت بداخلي الدنيا ......".

عــندما أســأل نفسي الآن: بعد كل مارأيته وسمعته لماذا إذن لم تتوقع ماحدث، وأرد على نفسي بصراحة بعيدا عما كتبته قبل قليل محاولا إعطاء نفسي حجما غير موجود، حتى لو كنت قد توقعت ماكنت سأقدر على تغيير شيئ، ثم إنني بصراحة وحياة أولادي لم أكــن أتوقع ماحدث، ظننتها نزوة عابرة ستمر كغيرها. لكنني لم أدرك أن يأس سموه من وصالها سيدفعه إلى فعل مافعله.

حكاية الوصال هذه الأخرى قصة لايصدقها عقل. ذات ليلة غبراء ســابقة لمـــا حدث أرسل سموه في طلبي ليسألني عن أحد يعرف شيئا عن دستور بلادنا، قلبنا القصر بمن فيه ومافيه فلم نجد نسخة مـــن دستورنا الذي لم أر نسخة منه منذ أن جاءتنا أول نسخة منه قبل اربعين عاما، أرسلنا في طلب عميد كلية القانون لكننا اكتشفنا أنـــه أستاذ أمريكي اندهش عندما عرف أن لدينا دستورا وأقسم أنه يسمع بهذا الكلام للمرة الأولى، بعد لأي اقترحت حلا صعبا لإنقاذ الموقــف، قمنا بالإفراج لمدة محدودة عن زعيم المعارضة القابع فـــي الحبس الإنفرادي منذ ثلاثين عاما ونيف، ذلك الجعجاع الذي يــتزعم حــزب الحركة الدستورية المحظور كاد يأخذ حياتي معه

بسبب اقتراحي للإفراج عنه لسؤاله عن الدستور باعتباره الوحيد الموجود في البلاد الذي يمتلك معرفة أكيدة به، كان تتابع الأحداث قد أنساني سؤال سموه عما يريد معرفته من ذلك الحقير، لم أكن أتوقع أبدا أن سموه يريد أن يسأل أي شخص لديه فكرة عن الدستور حول ماإذا كان الدستور الحالي يجيز لسموه الزواج من أجنبية لكي يتم تغييره إذا كان لايجيز، لم يفوت الوغد المعارض الفرصة لحرق دم سموه حيث سد أمامه منفذا كان يرنو إليه وأسمعه كلمتين بايخين، دون أن يعلم بأن سموه لايأبه بمثل هذه السفاسف، فقبل أن يعود المعارض الى سجنه كان الدستور قد تغير بوصفه كان العقبة الكئود التي تقف أمام استعدادات سموه لطلب يد مادلين من الرئيس الأمريكي الذي كان من الممكن أن يحرج سموه بذكر مسألة الدستور هذه.

كان سموه قد قرر أخذ هذه الخطوة الجريئة بعد أن قرأ في صحيفة عربية صفراء أو قرأوا له بمعنى أصح أن مادلين اولبرايت لازالت آنسة حتى الآن، فهاج هيجانه وقرر ألا ينقضي الليل إلا وقد حاز وصالها، واستدعى وزير خارجيتنا رحمه الله ليطلب منه تحديد موعد رسمي مع الأمريكان لزيارة بلادهم وطلب يد مادلين. لكن وزير الخارجية المسكين ـــ الذي يتساءل

الكثيرون حتى الآن عن سر اختفائه المفاجئ ـــ لم يمسك عليه لسانه ويتق الله في أولاده بل قال لسموه أن ماتم نشره ليس سوى تخريفة صحفية وأن مادلين متزوجة وأم أيضا وأنه شاهد بنفسه زوجها وهو يقبلها في عشاء عمل في واشنطن، وحتى هذا الجزء من كلام وزير الخارجية لم يكن هناك مشكلة بعد. المشكلة حدثت عندما اقترح سموه على صديقنا الوزير المرحوم أن يرسله للتفاوض مع زوج مادلين لكي يطلقها طلقة بائنة مقابل أي مبلغ من المال يطلبه أيا كان هذا المبلغ، عندها وقبل أن يفكر حتى في رد مناسب انتابت الوزير المرحوم حالة من الغضب الجنوني وأخذ يصرخ في وجه سموه " أنا لست قوادا .. ابحث عن غيري لهذه المهمة" وكانت تلك آخر كلماته قبل أن يختفي أو يُختفى بمعنى أصح.

لم ييأس سموه بعدها بل أخذ يتقرب إلى السفير الأمريكي في حركات تزلف مفضوحة لم تفت على خبث السفير الذي اتخذها فرصة لابتزاز سموه ماديا مقابل وعود ببذل أقصى الجهود ناقلا لسموه معلومات مفبركة عن أن مادلين تكره زوجها وتعيش أزمة عاطفية حادة ناسبا اليها كلاما لاأساس له من الصحة عن رأيها في رجولة سموه وفحولة سموه ووسامة سموه. جمع السفير

الملعــون من وراء هذه الأكاذيب مبالغ طائلة قبل أن يفاجئ سموه بــأن قرارا صدر بنقله لسكون سفيرا لأمريكا في تل أبيب وواعدا ســموه المصدوم بمواصلة مساعيه كرسول غرام بين الإثنين من خلال موقعه الجديد، بل وعرض تدبير لقاء سري بين الإثنين في فــندق الملك ديفيد في القدس، وصدق سموه الأمر وأبدى موافقته ثم سافر السفير الملعون ومن ساعتها لاحس ولاخبر.

منذ ذلك الوقت دخل سيادته في اكتئاب حاد لم تفلح كل المحاولات التي بذلها جميع مسئولي الدولة في محاولة التخفيف منه، ووصل الأمــر بسموه ذات مرة إلى استدعاء وزير البحث العلمي والأدبي فــي الــبلاد ليطلب منه إجراء اتصالات مع أرقى الجهات العلمية بالخــارج لبحــث استنساخ نسخة طبيعية من مادلين، استمع إليه الرجل العاقل في صمت ووعده بكل خير، وسافر إلى الخارج ولم يعد إلى الآن.

مــنذ ذلك الوقت لم أر سموه مبتهجا إلا عندما أخبرته بنبأ الزيارة المفاجــئة لمادليــن الينا بعد توليها منصبها الجديد، انتابه في البدء تشــنج ظاهر ثم كست الفرحة وجهه، وظل في حالة غير طبيعية حتى يوم وصولها الذي كان يوما له مابعده، كان في أسوأ حالاته مــنذ الصباح الباكر الذي أيقظنا فيه قبل شروق الشمس لنأتي إليه

قــائلا لــنا أنه لم ينم طيلة الليل، كان عصبيا بطريقة غير عادية، عــندما انفــتح بــاب الطائرة وأطلت مادلين بفخذيها منه تخشبت ملامــح ســموه تخشبا أثار قلق الجميع ولم ينفك تخشبه إلا عندما فاجأنا بأخذه لها بالأحضان في حركة فاجأت الجميع وقطعت البث المباشــر للتلفزيون، ولولا تدخلي لتخفيف التوتر بمداعبات لم أعد أذكــرها مــن فرط سخافتها وكونها هراء لامعنى له لكن الموقف كان يحتاجها لتضحك مادلين في عصبية ويمر الموقف بسلام دون أن نعلــم أن الأمــور ســتذهب إلــى أبعد مدى لها وأن ماحدث سيحدث".

ــ جــزء من محضر جلسة لمادلين أولبرايت مع طبيبها النفسي فــي كليفلاند (نشرته صحيفة ذي صن البريطانية بعد أن اشترته بمــبلغ خرافي من الطبيب وأثار نشره أزمة دبلوماسية حادة بين أمــريكا وبريطانيا .. تمت ترجمته لضمه إلى أوراق التحقيق بعد حــذف كــل أســماء الأعضــاء والتعبــيرات الجنسية الصريحة واســتبدال الشــتائم بمــرادفات كالتــي تظهر في ترجمة الأفلام الأجنبية .. مع خالص الشكر لمعامل أنيس عبيد لعونها):

" ... فعلها الحقير ابن السافلة.. عليه اللعنة .. فعلها معي أنا، أنا التي لم يجرؤ أعتى رجال الأرض على الإمساك بنتوئي لاغصبا عني ولابمزاجي، ذلك الجلف العربي عليه اللعنة، كم كنت مخطئة عندما لم أستجب لتحذيرات سفيرنا في تل أبيب الذي يعرف ذلك الوغد جيدا والذي نصحني بألا أظهر فخذي خلال المقابلة معه، سخرت مما قاله لي حول هيام الجلف العربي بي، قلت للسفير ولطاقم عملي أن إظهار فخذي بالشكل الذي تعودت عليه هو جزء لايتجزأ من السيادة الأمريكية التي تعري ماشاءت وتغطي على من شاءت، وأنه معنى سياسي مهم أن يصل جيدا إلى القوى الرجعية في العالم العربي ناهيك عن كونه طريقة في الحياة تعودت عليها منذ سنوات المراهقة. أوه ياإلهي، تسألني ماذا حدث، حتى الآن لم أستوعب جيدا ماذا حدث، لم أكن أتصور ولازلت لاأتصور كيف فقد ذلك الولد المطيع لنا دائما عقله بمجرد أن وضعت رجلا على رجل أمامه.. بالطبع كان ينبغي أن أتوجس شرا منذ اللحظة التي احتضنني فيها مندفعا ومستثارا، لكنني قلت لنفسي أن سماحي بقليل من التحرش سيسهل لي مهمة الحصول على قبول الطلبات العديدة الصعبة التي كلفت بحملها إلى المنطقة، ثم لاأخفيك أن مافعله وقتها فور نزولي من سلم الطائرة داعب

أنوثتي وأعادني إلى أيام الجامعة عندما كنت أعشق ممارسة الجنس الفموي أسفل سلالم سكن الطالبات، وأقسم لك أنه لولا حرارة الجو الرهيبة لكان ذلك الحضن الشره قد أوصلني إلى الأورجازم. عندما بدأنا المحادثات الثنائية لاحظت أنهم وضعوا لنا كراسي غريبة الشأن جعل الجلوس عليها مسألة تغطية ملابسي الداخلية أمرا صعبا، لكنني لم أمانع ولم أظن أن في الأمر شيئا سوى المصادفة، منذ أن جلسنا سويا كانت عيناه كجمرتين ملتهبتين تسكنان فخذي وماحولهما، قلت لنفسي ومايضير من النظر، دعه ينظر دعه يمر، لكن الفأر بدأ يلعب في عبي عندما قام بإلقاء قلم على الأرض ونزل لإلتقاطه أكثر من مرة، قررت أن أعتدل في جلستي وأضع رجلا على رجل لكن فعل ذلك كان يتطلب مني أن أباعد بين قدمي أكثر، فجأة ودونما سابق إنذار وجدت ذلك الوغد العربي يقفز ليحتضن فخذي بعنف محاولا تقبيلهما وهو يجهش بالبكاء ويصرخ تزوجيني يامادلين تزوجيني، تجمدت أنا ومن حولي من الجانبين ذهولا ورعبا، في ثوان كان قد أشار بيده ليدخل حراسه محاولين إخلاء القاعة قسرا بينما هو يقوم بـ ... أووه ، ماي جود ، جيسسس كرايزد، آي كانت بيليف وات هابيند".

ـ ملحوظة وجدت على هامش أوراق التحقيق بخط يد الصحفي الأمريكـــي البارز هيرش سيمور الذي تفرغ أكثر من عام محاولا إنجاز كتاب عن الموضوع دون جدوى:

"يبدو أن أحدا لن يعرف ماالذي حدث لفترة طويلة قادمة، فالشاهد الرئيســي فــي القضــية نصير ساويرس وهو الوحيد الذي كان حاضــرا مــن الطــرف العربــي وافته المنية فجأة، والمسئولن الأمريكــيون ممنوعون بحكم القانون من التحدث في أي تفاصيل خصوصـــا أن ســموه لازال في كرسي الحكم بعد أن قام بتعيين رئــيس الحزب الدستوري المعارض رئيسا للوزراء بعد إخراجه مــن الســجن بناء على طلب أمريكي. وبالتأكيد في يوم من الأيام ستتضــح تفاصيل ماحدث، على الأقل بعد ٣٠ عاما عندما تفرج الخارجــية الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية عن وثائق المــرحلة فــنعرف بالضبط كيف تم اغتصاب مادلين، وهل مات كبــير مساعدي سموه نصير ساويرس غيلة وغدرا أم إثر تناول جرعة زائدة من ماء الطرشي كما أعلنت الدوائر الرسمية لسموه ومــاالذي حصــلت عليه مادلين أولا والولايات المتحدة الأمريكية ثانيا لكي تترك أمرا خطيرا مثل هذا يمر بسلام".

بنت الحلال

" حبّ المرة (نُقط)

(نُقط) المرة تحبك"

كنت ولا زلت أرتكب الأخطاء بمحض إرادتي.. أندم حيناً ثم أغـرق فـي قـرار التوبة لتتلقفني موجة الخطأ من جديد، وهكذا دواليك.. وكان ثمة ذكريات.. سحرها كان يغلق الباب دائما في وجـه الذكـريات المرة.. لست أذكر متى ولد في واقعي طيفها الخـلاب ولكـن مـا أذكره أنه كان ولا يزال وسيظل حدثاً بالغ الروعة والجمال. يتدفق السحر من عينيها المسالمتين تدفق السيل العـرم فيذهـب زبد اليأس جفاءاً ويمكث حبها في أرضي البور ينفعها ويحييها ثم يميتها صبابة ثم يميتها عشقاً وهكذا دواليك.

مـنذ أن تشبث قلبي الغريق بأهدابها الطاهرة كانت ثمة مسافات وحواجز تفصل بيني وبينها وكانت تلك المسافات والحواجز كثيرة علـى ما أذكر، لكنها كانت تزول وتختفي تماما تحت ضغط قوة قاهـرة أسـلمت لها خطاي.. ولكني ظللت مصمما على ألا أعبر الحاجز الأكبر أبدا.

صحوت يوماً وفي خيالي أصداء حلم مبهر تزلزل كياني له طويلاً.. حلمت أنى أركب حصاناً أبلقاً ـ هكذا يحلو لي أن أصفه برغم أني لا أعرف معنى أن يكون الحصان أبلقا ولا أعتقد أنني سأتعرف على حصان أبلق لو قدر لي أن أمر الى جواره ـ كان حصانا جماله يخطف الأنفاس له غرة يرتسم عليها الأمل وله ذيل عملاق كفيل بطرد ذباب المخاوف أولاً بأول - لاتسألني عن الشيئ الذي يجعلني متأكدا أن ذلك الذباب الذي رأيته في الحلم هو ذباب المخاوف-

رأيتني ممتطيا صهوة ذلك الحصان أخوض به لوحدى دونما سيف أو عتاد أو رفاق فى خضم جيش مدجج السلاح كثير العدد والعدة.. أمضي وأنا على صهوته.. وهو يجندل الفرسان يميناً وشمالاً بذيله الذى تخلى عن مهمة إفناء ذباب المخاوف واستحال سيفاً بتارا أفنى ذلك الجيش عن بكرة أبيه.. وبعدها أخذ يطير بي فرحا في صحراء خضراء سرنا فيها زمنا طويلا حتى لاحت لنا قلعة ضخمة يخطف جلالها البصر فانطلقا سراعاً نحوها، وما أن إقتربنا من سورها حتى أشرق علينا من خلف ستائر غرفة مظلمة وجه باه منير أعرفه جيداً وعدنى بهاءه بآمال مفرطة العذوبة.

هززت لجام حصانى أستحثه المسير، لكنى آنست منه ترددا انقبض لي صدره، وماهي إلا ثوان حتى حال بيننا وبين سور القلعة فراغ متناهى البعد سحيق العمق تصرخ من داخله وحوش وغيلان وشياطين، ويهدر فى أعماقه السحيقة شلال دموع محرق يذيب كل ما يمر به.

وخلف ذلك الفراغ السحيق تلاشت القلعة الجليلة فى لحظة كأنها سراب بقيعة، ولم تترك إثرها إلا صاحبة الوجه المنير ملقاة على الرمال الحارقة..

لم تكن هي سوى محبوبتي الغالية.. لم تكن سوى أميرة التي تسكن في التونسي وتركب أتوبيس السيدة عائشة – بين السرايات كل يوم ولاتضع أي نوع من أنواع الماكياج ولاتتقي الله فيَّ مطلقاً.. أخذت الدموع تنساب من عينيها المتعبتين وعلى إثر دموعها كان الشلال المحرق فى الهاوية يزداد إشتعالاً وإستعاراً.. وأخذت تلوح لى بيد مشتاقة ضعيفة وصوت ملتاع محتاج تسألنى العون وجسمها وجسمى ينتفضان ذعراً وخوفاً. وأنظر إليها ذاهلا مستوحشاً بعد أن هلك جوادى من فرط الخوف والظمأ، وهممت أن أطير إليها بجسدى العارى الموحل.. لكنى ترددت كثيراً لإني عيِّل وأعول ولايعوّل عليّ.. لكن بكاءها أشعل أوار عزيمتى.. فقررت أن أطير إليها ولو بجسد خال الجناح معدم الحيلة.. وما

أن شرعت فى ذلك حتى انتصب بينى وبينها سد صخرى صلد.. نقشت عليه صور مرعبة لأحشاء ممزقة وأطفال انفطرت قلوبها من كثرة البكاء وكلمات كثيرة من بينها لا والنصيب والمال والمجتمع والناس وربنا عايز كده وصور جميلة لفرانكلين روزفلت وتوت عنخ آمون وقلعة محمد علي وفليكس الذي يلعب في الأهلي ولايلعب الأهلي فيه.. أخذت أصطدم بالسد فيرتد جسدى العاجز ليرتطم بالأرض فى عنف.. ظللت أنطح رأسى فى السد اللعين بعجز مهين حتى شج رأسى وكسرت رباعيتي وأصبت بالفالج وعندها صحيت مذعوراً باكياً.

من بعدها لم تعد حياتي كما كانت .. ارتسم ذل الحاجز الأكبر فى كيانى سداً منيعاً يحجب دفء الشمس عن مسامى ويقتل الحياة فى خلايا مشاعرى.

وكلما اقترب موعد لقائى بمحبوبتى تتسلل أشعة من البهجة عبر ثقوب ضئيلة فى سد اليأس المنتصب فى كيانى.. وقلت لنفسى لو زال هذا السد يوماً لأتيح لى أن أغسل روحى فى نبعها الطاهر.

كلما ألتقيها أتحدث كثيراً بحماس وإخلاص يخران صريعين كلما تذكرت حلمى وواقعى، فأصمت فى إنكسار.. وبينما أنا كذلك إذا بالأرض تتبدل غير الأرض والسماوات شرحه ــ يعني تتبدل هي الأخرى ــ .. وتنغمس روحى الظمأى فى نبع حنان لا تنتهى عذوبته.

يزلزل صوتها الحنون الهادر سدى المنيع فيغدو أثراً بعد عين.. وأسمعها تقول لى بتصميم: إن حال بينى وبينك فراغ مهما بلغ بعده ومهما تناهى إنسحاقه. وإن وقفت بدربك نحوى سدود يأجوج ومأجوج.. فلا تفعل شيئاً سوى أن تغمض عينيك وتدع روحك تهتف بإسمينا معاً.

وما إن فعلت حتى أشرقت الأرض بنور متألق وقضى فى أمرى بالعدل وتراءى لعينى النعيم المقيم.. وتردد فى خاطرى حينها صوت أمى الحنون وهى تداعب شعرى بأصابعها الكهربائية المنتعشة وتقول لى:- أنت ولد طيب يابنى.. وسيوقف الله فى طريقك دائماً بنت الحلال.

الآن وبعد أن ضاعت مني أميرة لم أجد تفسيرا لذلك سوى هذه المعادلة المنطقية : بما إن الله سيوقف في طريقي دائما بنت الحلال وبما إن أميرة لم يوقفها الله في طريقي إذن فهي بنت حرام. وهو المطلوب اثباته بالتفصيل.   ه ط ث.

١٩٩٤/٦/٣٠

دموع سمكة غريبة!

" الدنيا دي زي الخيارة .. يوم في إيدك ويوم في نقط"

سـمح لـي الزمان فجلست على شاطئ النيل لكن من غير جمـيل، إلا أن سحر شاطئ (الجربى) أغنانى عن جميل أجلس معـه.. قدمـاى مدلاتـان فى الماء وتموجاته تصل إلى مشارف ركبـتى. هـزنى هواء (راس البر) الساحر فأخذت (أبلبط) فى الماء كطفل منتشى.. كانت سعادتى ملء ما بين الشطين.. شهيتى مفـتوحة علـى آخرها الهواء والماء والأشياء.. فرغ صدرى من قلقـه وهمومه التى طحنته ليلة البارحة.. هل سينشر الموضوع أم لا. هل سينشركما هو.. هل سيظهر على الغلاف أم سيرمونه فى آخـر المجلـة بـأى بـنط سيكتبون إسمى.. هل يسقط الإسم من المطـبعة. هل سيوضع فى صدارة الموضوع أم فى آخره.. هل سـيكون التوضـيب جميلا أم منفرا.. نمت بصعوبة ولم يرحمنى الـناموس خاصة أننى نمت بلبوصا.. أيقظتنى طرقات عنيفة على بـاب الغـرفه رافقهـا صوت نسائى أجش: الساعة ١٢.. حتجدد إيجار الأودة.. إستمهلتها عشر دقائق بينما كنت ألعنها فى سرى..

جمعت بقايا عشاء البارحة وأخذت دشا وجمعت أشيائى.. نزلت الى باحة الفندق.. طلبت غرفة اصغر وأرخص.. صعد بى الصبى إلى غرفة حقيرة فوق سطوح الفندق.. رميت حقيبتى مسلما بينما كاد رأسى يلامس سقف الغرفة.. لكن إرتفاعها بشرنى بهواء رائع وسهر طويل.. دفعت عشرة جنيهات واستوقفنى صاحب الفندق طالبا منى بطاقتى زاعماً أن إبنه لم يأخذ بياناتى بشكل سليم عندما جئت.. نظرت إليه بإشفاق.. لا يعرف من يحدثه هكذا قلت لنفسي أعطيته بياناتى ومضيت أسابق الريح.

إندفعت إلى بائع الصحف.. قلت بلهفة:

– روز اليوسف جت.

نظر إلى باستهانة وبخشونة قال:

– ما هى متلقحة قدامك.

فسرت لحيتة الكثة وجلبابه الأبيض الطويل عداء لهجته.. اختطفت نسخة ودارت بى الأرض عندما رأيت عنوان الموضوع ببنط كبير على صدر المجلة.. أنستنى الفرحة نفسى ففتحت المجلة وأخذت أقلب بلهفة نصفها الأخير ــ مكان مواضيعى المعتاد ــ .. تذكرت أهمية الموضوع فعدت مسرعا إلى النصف الأول.. اصطدمت بعناوين الموضوع وإسمى بارزا بعد مقال رئيس

التحرير.. تسارعت دقات قلبى وكدت أقع من الفرحة .. لكننى أفقت منها على صوت البائع غليظا متهكما بلهجته الدمياطية:

– أجيب لك قازوزة وكرسى.. وتقراها هنا.

لم أكترث به.. أخرجت نقودى واشتريت صحف الصباح وعلى أقرب دكة جلست قرأت موضوعى مرتين تصفحت موقعه بين مواد العدد وقرأت إسمى للمرة الخامسة عشرة.. خيل إلى أن البنط أصغر.. حزنت للحظة.. ثم لعنت طمع الإنسان. لو أعطى لابن آدم واديان من ذهب.. أعدت القراءة ثلاثة مرات وربما أكثر.

فى المطعم أكلت كميات كبيرة وسط دهشة الناس من طريقة أكلى النهمة.. قلت:– فى حالة نفسية كهذه لابد من (الجربى) وإن طال السفر.. فى سيارة السرفيس فتحت المجلة على الموضوع وأملتها نحو الجالس بجوارى وتصنعت الإهتمام بالموضوع.. لم ألمس منه إهتماما.. أخذت أتمتم بصوت مسموع (يا ولاد الذين.. مجلة ليس لها حل .. فيها صحفيين فراودة). التفت نحو النافذة الأخرى قرأت وجهه.. ينبئك أنه لم يقرأ مجلات من أيام (الإثنين والدنيا).. بل لم يقرأ شيئا من أيام المطالعة الرشيدة.

تخيرت بقعة منعزلة لا يسبح أمامها الأطفال.. توسمت فى المكان انخفاض الثمن..

طلبت زجاجة مياه غازية و إشتريت كمية من اللب والفول السوداني.. أصبح همى الآن هل سيثير الموضوع صدى.. هل سيبعث أحد المصادر تكذيبا.. ثار قلقى فما نقلته ليس له تسجيل صوتى.ها أنا عدت للتفكير فى العمل ثانية.. إقتربت من الماء بصقت على خيالى.. لعنت غبائى.. جئت هنا لأستريح وأنسى كل شيئ..وعندما جئت كنت قد أقسمت ألا أعمل بالصحافة ثانية.. لكننى سأحنث بالقسم ككل مرة ينشر لى فيها أى موضوع.

مهنة داعرة هى الصحافة.. لكنها آسرة.. كحسناء ناهدة تحتويك فلا تستطيع منها فكاكا تتألم لكن بلذة.. تتصارع نشوتك مع ألمك ويتبادلان الغلبة.. لكنك فى كل الأحوال تسلم قيادك لسواد سطورها.. وينقطع نفسك وراء دوران ماكينات طباعتها.. لم يكن هينا على إحتمال صراع البقاء الذى أشهده كل يوم فى المجلة لكننى كنت أعلم أنه لا مناص عن ذلك وسط غيلان الصحافة الذين أعمل معهم.. كنت أكتسب كل يوم أرضا جديدة.. مصدرا جديدا.. وحبا أكثر.. وصداقة أكبر من زملائى القدامى لكن تأخر

نشر موضوعاتى كان يذبحنى.. ألتقى حينا زميلا يطعننى بسؤال قاتل:

- إنت لسه فى المجلة.

- طبعا. هاروح فين يعنى.

- أمال فين شغلك.

أختلق ردا وعذرا للإنصراف وأمضى وقلبى يتقطع.. لحظة واحدة ماالذي جعلني أتذكر هذا القرف.. هلا فضضنا سيرة الغم فى هذا اليوم المفترج بالصلاه على النبى.

يقطع خواطري صبى أسمر يقترب منى بصنارته الصغيرة المصنعة من عود قصب.. ينهمك فى البحث عن طعم.. يجده.. يثبته فى الخطاف الصغير.. يرمى صنارته فى الماء.. يراقبها باهتمام.. ينزعها متعجلا.. يخيب أمله.. فيرميها ثانية وينزعها متعجلا.. راقبته مبتسما وقلت:

- ما تستعجلش.. صيد السمك عاوز صبر.

رمقنى بنظرة خاطفة وأدار وجهه إلى الصنارة قائلا:

- عارف.. عارف..

تجاهلت تجاهله وواصلت:

- ما تهزش الصنارة.. وما تستعجلش على سحبها.. سيب السمـ.....

قاطعنى بجراءة غاضبة:

- لو سمحت.. السمك بيهرب من الصوت العالى.

سكت محرجا.. راقبت فشله المتكرر بتشف طفولى.. ربما سببه أننى طيلة طفولتى لم أصطد اى سمكة ولم أرى أى سنارة فى أى ماء.. وكأن فشله أعطانى مبررا لمواصلة الحديث:

- هنا مش هنقدر تصيد حاجه.. لأن السمك بيهرب من المركب الواقف ده.

قطع كلامى بسحبة قوية للصنارة التى أخرجت معها سمكة كبيرة.. بمقاييس السمك النيلى- وبينما تتلوى السمكة أخذ يضحك بصوت على ويقول لى بظفى:

- شفت.. أهوه.. أهوه.. سمكة كبيرة كمان.

إحمر وجهى خجلا لكننى أعجبت به:

- إنت واد ميه ميه.. الله ينور عليك.

جرى الصبى نحو أبيه الجالس على مقربة منا.. أخذ يهز السمكة فى الهواء وبلهجة دمياطية محببة:

- أبويه.. أبويه.. سمكة كبيرة.

كان أبوه يمسك سنارة رفيعة يدسها فى الماء.. راقبته كان لم يصطد سمكة واحدة بعد.. وضع الصبى سمكته فى كيس مملوء بالماء.. دبت بها الروح ثانية فأخذت تنتفض مصطدمة بأرجاء الكيس الشفاف.. نظرت له أخته الأصغر الجالسة بجواره بغيرة بريئة.. كانت تمسك سنارة أطول من قامتها بقليل.. تنزلها فى الماء وترفعها منه دون جدوى.. قذفت بالصنارة على الرمل وقالت لأبيها بصوت متهدج:

- اشمعنى محمد ياخد سمكة.. وانا بقى لى م السبح ما خدتش ولا واحدة.

قال لها أخوها: أصلك خايبة.

نظرت لأبيها كأنما تستوثق صحة حكم أخيها.. رفع فمه من على الشيشة.. نفث نفسا عميقا فى الهواء.. ووضع يده على شعرها الأحمر المفلفل وقال مبتسما:

- أصلك حلوة قوى.. والسمك بيغير من حلاوتك.. فبيهرب بعيد ويروح لصنارة الواد محمد.. بيبص على وحاشته ويضحك عليه فيخبط فى صنارته.

أمضت برهة كأنما تحاول فهم ما قاله.. ثم أعجبها التفسير فضحكت في سعادة.. أزاحت خصلة شعرها الجميل عن عينها وقالت:

- محمد ياوحش.. خلى سمكتك تنفعك.

نظر إليها لا مباليا.. وأخذ يمشى إلى وهو يضع طعما فى صنارته.. وصل إلى فوجدنى أضحك..

قال لى باستهانة: بنت عبيطة.

ضحكت بصوت عالى فنظر إلى مستغربا.. هز راسه.. ورمى الصنارة فى الماء.. كان الموقف هذه المرة.. انتشل ثلاث سمكات وراء بعض.. كنت اهلل فرحا معه بعد كل سمكة.. كان يجرى مسرعا ليضعها فى الكيس ويعود وهو يرقبنى بمودة.. أعجبتنى نظراته الوردة قلت له لأمحو جهل ما قلته من قبل:

- المكان ده فيه سمك كتير قوى.

نظر إلى رافعا حاجبه وعلى شفتيه طيف إبتسامة ساخرة.. هؤلاء الأطفال لا ينسون شيئا.. انتشل السمكة الرابعة قلت له:

- وشى حلو عليك.

لم يلتفت إلى.. وربما أراد أن يثبت لى أنه كفء وليس محظوظا.. فقال فى جدية:

- إمبارح فى نفس المكان ده.. اصطدت سمك كبير.. بتاع كيلو.

أنسى منى عدم تصديق.. تجهم وقال:

- والله العظيم.. ده أنا حتى شويته كله.

إبتسمت ساخرا.. ظهرت علائم الغضب على وجهه الأسمر أخذ ينادى:

- تغريد.. تغريد.. ثم لى:

- حاجيب لك أختى عشان تصدق.

خطت أخته بدلال.. تنظر لنا مبتسمة ونحن ننتظرها وعيوننا تراقب خطوها.

قالت بدلال وقد أحست بأهميتها:

- عاوس إيه يا محمد.

وضع يده على كتفها وبحنان بدا أنه مبالغ فيه:

- مش أنا يا تغريد يا حبيبتى (!!) اصطدت سمك كتير إمبارح؟.

استرقت نظرة إلى كيسه المليئ بالأسماك الصاحية.. وبابسامة ذكية سألته:

- أنهى سمك يا محمد؟!

أرتبك وقال بسرعة: السمك الكبير اللى شويته.

وضعت يدها على وسطها النحيل.. ونظرت إلى يمينه مباشرة.. كان ينظر إليها بلهفة.. يتجاهل إبتسامتى التى تراقب الموقف كله.. عاودت النظر إلى كيس الأسماك.. ثم نظرت لأخيها نظرة متحدية.. إبتسمت ومالت نحوى بنصفها الأعلى قائلة:

ما تصدقوش يا عمو.. ده ماصادش ولا سمكة.

ابتعدت جارية.. وفى منتصف المسافة التى بفصلنا عن أبيها أخرجت لسانها لأخيها.. الذى لم يجر وراءها كما توقعت أطرق برأسه نحو الأرض.. نظر فى الماء حزينا.. تناول كيس أسماكه وأدار لى ظهره وأخذ يجر صنارته على الأرض.. توقف على بعد أمتار منى ورمى صنارته فى الماء دون أن ينبس بكلمه.

خالجنى شعور بالحزن.. أشفقت عليه.. نظرت إلى أخته.. كانت تراقبنا ضاحكة.. قطبت فى وجهها.. لم تكترث ما أشقاهم وأذكاهم أطفال هذا الزمان.

مر بائع جرائد يعلن عن بضاعته بلهجته الدمياطية (أهرام.. أخبار.. جمهورية.. المسيه.. روز اليوسف.. نصف الدنيه).. انتشيت عندما سمعت إسم مجلتى.. وأخذت أنظر حولى مترقبا أحدا يشتريها.. ضحكت فخورا عندما استوقف والد الطفلين بائع الجرائد واشترى روزا فقط.. كان سلوكه ينبئ بأنه قارئ قديم

لها.. وضع الصنارة جانبا وأخذ يتفحص الغلاف مهتما.. هز رأسه مبتسما.. قلت لاشك أعجبه عنوان موضوعى.. قلب المجلة كلها.. استنفرت حواسي فى مراقبته.. واهتز قلبى فرحا عندما توقف لحظات قليلة أمام موضوعى مقربا المجلة من نظارته وواصل تقليب المجلة.

غزتنى نشرة عارمة.. أعجبتنى ساقا فتاة حسناء تجلس على مقدمة بدال أصفر مكتظ بمن لعلهم أخوتها.. كانت تجلس غير مضطربة.. ترجع بيد شعرها الذهبى إلى الوراء وتضع اليد الأخرى على فتحة فى جيبتها تدارى البياض الرائع الذى يظهر من فخذيها "الملبنيتين".. تمر سفينة كبيرة فتعلو تموجات الماء ليهتز البدال بقوة.. تشهق بأنوثة وترفع يداها ممسكة بنتوء خلفها وتنفرج ركبتاها مع الإرتباك.. فتندلق أبصار الشباب الواقف على الشط.. وأنا منهم.. على المرمر الخلاب موغلة فى التمعن حتى ذلك الخيال الذى بدا لنا أحمر اللون.. والذى عبر عنه شاب بسوقيه شبقة:

- لباسها باين.. ثم صرخ:حلاوتك يا أحمر.

تنبهت البنت فضمت ركبتها خجلة وأعادت يديها.. الإثنتين هذه المرة لتلملم جيبتها.. استدار البعض نحو الشاب الذى صرخ لاعنين أجداده فيما لكزه زميل له:

- يلعن ميتين غبائك.. ما تعرفش تصبر.

رد باستهانة:

- يعنى كنت هتعمل إيه لو شفت.. استنى هتشوف اللى أوسخ دلوقتي.

التفت يسارا أعجبنى منظر حسناء ملتهبة القوام تصطاد مرتدية شورتا قصيرا رائعا- روعته فيما يكشفه- اقترب شاب قاهرى منها تشجع ثم قال:

- إزاى بلطية تصطاد بلطية.

أعجبنى التعليق.. لكنها رمقته متحدية.. وشخرت قائلة بلهجة دمياطية:

- البلطية دى ممكن (.....) .

ضحك جميع الواقفين.. بينما بهت الشاب مسارعا بالإنصراف.

إشتقت لركوب النيل.. سألت عامل الكافتريا. فقال لى:

- أرخص لك تركب المركب اللى بيعدى للبر التانى وترجع معه وبنص جنيه بس.

تركت أشيائى عنده.. وقبل أن أذهب للمركب.. أتجهت إلى محمد الذى كان لا يزال منكبا على صنارته دون أن يصطاد شيئا.. أحس بخطواتى.. رفع وجهه فاصطدم بابتسامتى.. أشاح بوجهه سريعا ودفنه فى الماء.. جلست جواره مدليا رجلى فى الماء.. ربت على كتفه قائلا:

- أنا مصدقك يا محمد.. أنت واد حريف فى الصيد.

رفع راسه تدريجيا نظر إلى صامتا.. إحتويته بابتسامة كبيرة.. إنتقلت لفمه الصغير أخذ يهز الصنارة فرحا.. واصلت:

- على فكرة.. إنت لو جبت صنارة كبيرة حتصطاد سمك كبير قوى لانك شاطر فى الصيد .

نظر فى الماء كأنما يتخيل السمك الذى سيصطاده ثم سألنى بلهفة:

- صنارة بموتور؟!

- أيوه.

نظر إلى أبيه ثم قال:

- بابا وعدنى لو نجحت حيجب لى واحدة.

- يا الله.. شد حيلك عشان تجيبها.

كانت سعادتى بالموقف قد جعلتنى أحرك قدمى فى الماء بقوة.. ربت محمد على فخذى وقال لى بصوت هامس:

- معلهش يا عمو ياريت ما تحركش رجلك.. عشان السمك ما يهربش.

اوقفت حركة قدمى وابتسمت ملء فمى وتأسفت بصوت هامس.

قال لى بصوت هامس يجبر على الضحك:ما تزعلش يا عمو.

أرسل نظرة طويلة نحو البر الآخر.. ثم التفت يهمس لى: عمو.. أنت عندك صنارة بموتور.

ضحكت: أنا عمرى ماكان عندى صنارة.

قال بلهفة:ليه يا عمو.

سكت لحظة ثم قلت:أصل.. أصل.. ما اعرفش..

تذكرت قسوة أبى وفقر حالنا. وجملة أبى الدائمة (اقعد ذاكر كلمتين.. أحسن من المرقعة الفاضية).

ربت على رأسه وقلت فى حنان: عشان كده يا محمد.. إنت هتبقى صياد كويس.

رفع رأسه بفخر رائع.. غمزت الصنارة فأنتشل سمكة صغيرة تأملها بفرح.. أخرجها من الصنارة.. ثم قال لى وهى تلوى فى يده:

- دى عشانك يا عمو.

هممت بلمسها.. لكنه صاح.. حاسب من الشوك بتاعها.

أخذت السمكة فى يدى.. كانت حركتها قد توقفت.. واخترق الخطاف جنبها لتتوسط بقعة دم قشرها الزاهى.. بينما كانت عينها جامدة تحدق فى المجهول.. قلبتها محاذرا زعانفها الشائكة.. لا أدرى لم ذكرتنى بالموت.. انقبضت لحظة وقلت له:

- تزعل يا محمد لو رميتهافى المية تانى.

- ليه.. يا عمو.. إنت ما بتحبش السمك.

- أصلى باحب السمك صاحى.

- بس دى ماتت.

-عشان كده أنا عايز أرجعها بيتها عشان ماتموتش غريبة.

نظر إلى بعدم فهم وقال:

- بس أنا باحب السمك المشوى.

- أنا كمان باحبه.. بس إنت لما بتشوى السمك.. بتشوى سمكة واحدة ولا بتشوى كتير.

قال بفخر وكأنه تذكر ما حكاه لى عن سمك البارحة:

- لأ.. كتير طبعا.

- عشان كده لما هتدينى السمكة دى هتفضل معايا لوحدها.. هتموت غريبه واهلها هيزعلوا عليها وممكن يزعلوا من البنى آدمين ويهربوا بيتهم اللى جوه النيل وما تعرفش تصطاد حاجة.

كنت قد امتلكت حواسه كلها وهو يتابع ما أقول.. وواصلت:
- لو رجعناها.. أهلها حيحسوا بالأمان ويفضلوا يلعبوا على الشط وحتقدر إنت تصطادهم.
أعجبه ما قلت فقال مشجعا: صح يا عمو.
نظرت إلى السحب المتكاثفة كأنما تشد يد بعضها البعض وتمضي مختالة في السماء تناطح القمر الذي بدأ حضوره الباهت في الظهور أمام ضوء الشمس المتداعي .. زفرت ثم قلت له وأنا أكلم نفسي عبره:
ـ الغربة صعبة يامحمد.. لما تعيش غريب فى وطنك تتعب.. لما تبقى وحيد فى زحمة الناس قلبك يتقطع.. تبقى روحك بردانة.. والحزن يركبك.. والحزن زى العفريت.. لما يركب حد ما يعتقوش.. لكن لمة الحبايب.. وعيون اللى قلوبهم عليك ومعاك تخليك دفيان وتخلى روحك عامله زى.. زي إيه.. بص ...
أخرجت سمكة من كيسه المملوء بالأسماك الصاحية الجارية في ماء الكيس قذفت بها إلى الماء.. إنتفضت برهة ثم غاصت..
واصلت حديثي مع نفسي:
ـ زى السمكة دى أول ماتشم ريحة الميه الحقيقية.. المية الواسعة.. مش مية الكيس الضيقة العكرة اللى ما عادش فيها نفس

حلو.. أول ما تشم الريحة دى قلبها يتنفض وتغوص.. تغوص لغاية ما توصل لعمق المية زى اللى بتستكشف إيه اللى اتغير تحت.. بتدور على أهلها وناسها.. مين اللى شبك فى صنارة ومين كلته سمكة أكبر منه ومين اللى لسه موجود.. تعيط علىاللى راحوا بس فجأة تتسى وتلوى جسمها وتطلع تانى تلعب مع حبايبها عالشط وهى عارفة إنها ممكن تشبك فى الموت.. بس بتتحداه.. يمكن نفتكر ده غباء بس أنا شايف إن ده قمة الذكاء والشجاعة.. إحنا كده لما نحب الحياة بنتبلبط فيها واحنا عارفين إن إحنا فى الآخر هنشبك فى صنارة الموت أو حتى هنوقع فى شبكة الحزن.. بس بنجرى وبنلعلط وبنبلبط ونعيش.. عشان كده أنا عايزك تفضل تصطاد سمك على طول عشان هتفهم الحياة.. بس إوعى تصطاد سمكة لوحدها.. ساعتها الزمن مش هيرحمك وهتموت إنت كمان غريب.
التفت إليه لأجده يحدق فى فاغرا فمه.. إبتسمت ملاطفا. قال لى:
- أنا مش فاهم حاجة ياعمو.
ربت على كتفه:
- إنت لسه صغير.. بكره هتفهم براحتك.

انتفضت واقفا: شد حيلك.. أنا هاعدى النيل وارجع.. عايز ألاقيك مليت الكيس ده سمك.. بس النهارده ٢ كيلو.. أكتر من إمبارح.

ضــحك: حاضـــر يـــا عمو.. حاصطاد ٣ كيلو.. وهاشويلك كيلو بحاله.

تحركــت المركــب بطيئة والنيل يحملنا على كفوف الراحة.. أخذ يهدهدنـــى فـــثارت شـــجونى.. أرسلت نظرة إلى محمد فلوح لى بسمكة انتشلها.. شجعته باشارة من يدى.. وغلبتنى النشوة فأخذت أتـــرنم (شـــد القلوع يا مراكبى.. ما فيش رجوع يا مراكبى).. نظرت إلى المراكبى.. كان ينفخ فى غيظ من قلة الركاب وعرقه يســـيل على ذقنه المهملة.. إنصرفت عنه إلى النيل ملت بجذعى لألمـــس الماء بيدى.. مال المركب معى.. فوخزنى بنظرة عدائية حادة جعلتنى أمتنع عن التفكير فى ملامسة الماء.

وصلنا إلى البر الآخر.. نزل الركاب وبقيت أنا أنظر فيما حولى.

دهمنى صوته الأجش:

- يا الله يابيه.. مستنى إيه سعادتك.

- لا.. أنا هارجع معاك يا ريس.

فضـــحتنى لهجـــتى القاهرية.. فأرسل نحوى نظرة طويلة تنضح بالغـــيظ.. إنتظرنا إمتلاء المركب.. كان البر الآخر مليئا بأشجار

النخـــيل تـــبزغ من بينها مآذن متناثرة وتفوح منها رائحة الهواء الـــبكر.. تنفســـت بعمـــق.. أخذ المركب يتحرك أخرجت نصف جنـــيه.. طالبـــنى الـــرجل بدفع جنيه ونصف وعندما سألته عن السبب.

قال لى بغلظة: أصلك مش من أهل البلد.. راكب بتتفسح.

كان نزقا.. ورأيت أن الأدب لا ينفع معه.. قلت له زاعقا:

- وده مـــن إيه.. مالكش عندى غير نصف جنيه.. ومالكش دعوة أنـــا منين.. وما تكترش فى الكلام معايا أحسن مش كويس بالنسبة لك.

صدق حدسى فى أن الوقاحة أسلم حل للتعامل معه.. سكت كاظما غيظه وقد أجبرته لهجتى الزاعقة الواثقة على التسليم رغم أنه لو طلـــب مـــنى أن أخلع ثيابى كلها وإلا رمانى فى النيل لقلعت دون نقاش.. استدار نحو جار له وأخذ بصوت عال يحاول (التلقيح فى الكلام) :

- تصـــدق يـــا خويـــه.. بتوع مصر دول باين كلهم (...) .. ما تعرفش ليه.. ممكن من الأتوبيسات الزحمة اللى بيركبوها.. تلاقى الواحد منهم عامل زى الجمل المحمل.. طول وعرض وشنبات.. لكن لو تدور عليه تلاقية بيدور عاللى يديه فى القله.

ضحك الركاب بينما تجاهلت.. ضحكت في سيري على احتدادي في أثر مناقشة عن حقوق العمال والفلاحين وأبناء الشعب (الغلابة).. قلت لنفسي:

– غريبة بلدنا وناسها.. أهو ده لو كنت غمزته بخمسة جنيه كان زماني الباشا سيد الناس حتى لو كنت باكرهه وباقول ان العلم كتير عليه.. لكن عشان بادافع عنه وما معيش بقيت بادور عاللي يديني.

نزلت من المركب نادما على فكرة ركوبه. عدت إلى مقعدي.. كان محمد لا يزال يصطاد في مكانه.. مررت بوالده ووقفت وقد خفق قلبي فرحا.. كان قد طوى المجلة على موضوعي وأخذ يقرأه في إهتمام.. صممت أن أعرفه بنفسي.. أندفعت نحوه.. أحس بوجودي فرفع رأسه.. خلع النضارة وابتسم في ود.. نظر يمينه نحو مقعدي.. تذكر أن ابنه كان يصطاد بجواري.. قال لي:– أهلا وسهلا.. تفضل جلست متظاهرا بالحرج.

كانت تغريد لا تزال تضع صنارتها الصغيرة في الماء دون فائدة وهي تميل بكرسيها نحو الحاجز الأسمنتي الملاصق للماء.. كان الضجر يبدو عليها وهي ترفع الصنارة وتخفضها دون أن يفكر السمك حتى في أكل طعمها والهرب..

رحب الأب مرة أخرى بي وعاد للقراءة.. فرحت لانهماكه في متابعة القراءة ووصلت ثقتي بنفسي إلى أقصى حدودها.. ها أنت يتلهف القراء على إكمال مواضيعك.

ما إن هممت بالكلام حتى هبت تغريد قائمة وهي تصرخ بنشوة عارمة:

– هييه.. هييه.. هييه.. سمكة.. سمكة.. سمكة..

لم أصدق نظرتها إلى صنارتها.. رأيت سمكة لا بأس بحجمها تتلوى في طرفها.. كانت سمكة غبية لا شك أو أن البنت كانت محظوظة عندما رفعت الصنارة بقوة ـ باعثها اليأس ـ في الوقت الذي شبكت الخطاف في فم السمكة.. اندفعت تغريد دون أن تزيل السمكة من الصنارة وهي تطوح بها في الهواء صارخة مهللة أخذ الجالسون في المقاعد القريبة يصفقون لها وهي في تزيد في تهليلها بالغة الفرحة.. نظرت إلى أخيها وأخذت تنادي:

– سمكة يا محمد.. سمكة يا محمد..

أخذت تلوح له بالصنارة مقتربة من الحاجز الأسمنتي.. بينما كان محمد يراقبها من مكانه غير مصدق.. أخذ يقترب.. بينما اندفعت هي نحوه لتتحداه بانتصاره.. تعثرت في رجل كرسي ليسقط طرف صنارتها في الماء خلف الحاجز الأسمنتي.. قامت بسرعة

وهى متبرمة.. وعندما وصل محمد إلى جوارها رفعت صنارتها وهى تقول وقد نست وقوعها:

- شايف سمكتى يا محمد.

ارتسمت إبتسامة ظفر على وجه محمد وهو يشير إلى طرف الصنارة الخالى من السمكة التى تخلصت من الخطاف بحلاوة الروح عندما شمت رائحة الماء.. التفتت تغريد مذهولة إلى الصنارة الخالية وحدقت فى طرفها.. ظلت برهة حتى استوعبت الموقف فيما كان محمد يضحك فى سعادة.. أخذ صوت تغريد يتهدج:

- كان فى سمكة هنا.. إنت شفتها يا محمد.. صح؟!

قطع ضحكه ثم نظر إليها وابتسم بدهاء.. ثم نظر إلى.. شجعه ضحكى.. فقال لها فى دهاء:

- سمكة إيه.. إنتى اصطدتى سمكة؟!

ذهلت لوهلة ثم اندفعت قائلة: أيوه والله.. وانت شفتها.

واصل متخابثا:سمكة إيه يا عبيطه.. مانتى قاعدة من الصبح ما اصطدتيش ولا حاجة.

أحسست أنه يثأر لنفسه فأخذت تدافع عن نفسها وهى تنظر إلى أبيها.. لكنه لم يكترث بالموقف كله.. لم تنظر إلى ربما لأنها

أحسست أننى سأنصر محمد عليها أخذت تصيح وقد بدأت فى البكاء:

- والله حلام.. أنا جبت سمكة.. والله جبتها.

اندفعت وهى تبكى إلى الداخل فيما عاد محمد للضحك.. شاركته فى الضحك فنظر أبوه إلى مبتسما:

- شقاوة العيال دى توجع الدماغ.

- ربنا يخليهم لك.

شكرنى باقتضاب وعاد إلى (موضوعى) فيما رمى محمد صنارته فى الماء وهو ينظر إلى أخته الباكية فى مدخل الكافتريا.

أحسست أن الأب يستثقل وجودى.. فهو لم يكلمنى كلمة عليها القيمة منذ قعدت.. عذرته.. وتخليت كيف ستتغير معاملته لى بعد أن أخبره من أنا.. سيعتدل فى جلسته ويحدثنى باحترام.. ربما يطلب لى مشروبا على حسابه لاشك أنه سيفعل.. سيسألنى عن الموضوع وكيف توصلت لما فيه وسيطرت على أسلوب كتابتى.. ربما يتذكر مواضيعى السابقة.. لا أعتقد .. لن أكون طماعا فهى تنشر متباعدة ويصعب تذكرها.. تأملت شعره الأشيب تتوسطه صلعة تعطى وجهه الأسمر منتفخ الأوداج مظهرا يدعو للإحترام.. خمنته موظفا كبيرا.. ربما كان يعمل مديرا عاما فى

محافظة دمياط أو هيئة ميناء دمياط .. لو كان ذلك كذلك فيابختي لأنـي سأكسـب مصـدرا جديدا ربما أطلع منه على الأقل بخبر صـغير أنشـره فـي بورصة الأخبار وآخذ عليه عشرة جنيهات (حلويـن تمن أكلة عدلة وتلات أكلات نص نص و٦ أكلات مش ولابد).. لماذا هذا الانسحاق في نظرتي .. لماذا أتعامل مع نفسي بوصـفي بـرص .. أنا أكبر من ذلك بكثير .. أنا صحفي محترم صـاحب رسـالة صحيح أنني لاأعرف ماهي حتى الآن .. لكن بالتأكـيد أنه سيكون لدي واحدة في يوم ما .. لهذا الموظف الكبير الشـرف فـي أن يعرفني ولا شك أنه بعد أن يحظى بهذا الشرف سـيحدث زمـلاء عمله أو رفاقه على أكثر مقاهى دمياط إحتراما عـن الصـحفى الـذى تشرف بمصادقته وعقب كل موضوع لى سيقول (يا سلام.. الراجل ده صديق عزيز) وربما منحته جزءا من وقتي عندما يتصل بي مهنئا ومباركا .. ومن الممكن أن يؤمن بـي أكـثر وعندها ربما لو .. لو يعني .. وقعت يوما تحت يده وثـائق فساد وخصنى بها لأحقق موضوع غلاف آخر (آخذ عليه ١٥٠ جنـيه تمن أكل عدل طول الشهر وأكل نص نص طول ٣ شهور وأكل مش ولابد طول ٥ شهور وأسبوع).

أنعشتنى كل هذه الأفكار فقررت الدخول فى الموضوع مباشرة.

- حضرتك بتقرا روز اليوسف.

يـبدو أنها كانت بداية غبية للحديث فهو يمسكها بالفعل.. نظر إلى متوسما الغباء:

- أيوه.

قلت لأحسن موقفى:أقصد تقرأها باستمرار.

قال بنفاد صبر : أيوه.

- بتعجبك؟

- طبعا.. مجلة محترمة وجريئة.

إبتسمت بفخر ورجعت بظهرى لأجلس ملء الكرسى.. ثم أشرت إلى (موضوعى).

- إيه رأيك فى الموضوع ده؟

- كويس جدا.

لم تسعنى الدنيا فواصلت:

-إيه رأيك فى أسلوب كتابته؟

كان سؤالا غريبا..

سألنى: حضرتك بتسأل ليه .. قريته وماعجبكش.

قلت بفخر: الحقيقة.. أنا اللى كتبته.

انتفض الرجل فى مقعده.. استبشرت خيرا.. لكن نظراته المستنكرة أشعرتنى بالقلق.. أخذ الرجل يتفحصنى بحذر.. أزعجتنى نظراته إلى قدمى.. كان (شبشبى) الذى أرتديه من نوع ردئ فضلا عن تهرئه، كان بنطلونى متسخا وقميصى مكرمشا.. وشعرت بوخز نظراته وهى تستعرض مظهرى.. كانت نظراته تعرينى وتؤلمنى.. كان المظهر دائما عيبى الوحيد- فى عرف الناس- ولم اكن أكترث لذلك.. كنت أهتم بالنظافة لا الأناقة ولأكون صريحا أكثر فإن ما أجبرنى على هذه الفكرة كان حالتى المادية المتواضعة.. وكنت آمل دائما فى تغيير الحال.. لكننى كنت أظن أن الناس وهذا الموظف الكبير الأصلع الذى كنت أحترمه يعرفون أن الصحفيين الشرفاء لا أصحاب القرون هم بالضرورة أناس متوسطو الدخل يجاهدون من أجل تحسين معيشتهم.. لديهم هم عام يشغلهم عن المظاهر والشكل.. لكن هذا الرجل الأصلع الذى وقعت بغبائى واندفاعى فى يده يبدو أنه تأثر بكبار الصحفيين الذين يراهم فى نشرات الأخبار أو البرامج السياسية يرتدون بدل (بيركاردان) وربطات العنق الحريرية والأحذية اللميع والوجوه اللامعة يصافحون الرئيس ويجرون معه

الحوارات.. وتصور الرجل أن من يكتب موضوع غلاف فى مجلة كبيرة لابد أن يكون من هؤلاء.

عزمت على إقناعه بما أقول.. أخرجت بطاقتى الجامعية وقربتها منه قائلاً:

- تفضل .. أنا إسمى طارق مدكور .

نظر إلى البطاقة ثم نظر إلى الموضوع.. أحسست بابتسامة ساخرة على فمه.. تأكد إحساسى عندما وجدته يدس يده فى جيبه ليخرج محفظة جلدية سوداء وأخرج منها بطاقة قربها منى قائلاً:

- وأنا إسمى عاطف صدقي. ثم أعادها وهو يبتسم فى سخرية.

أحسست بسكاكين تمزق كبريائى.. فهمت ما يقصده.. كأنه يقول لى أن تشابه إسمك مع الاسم الموجود فى المجلة لا يعنى أنك هذا الصحفى المحترم لأنك بالفعل غير محترم.. وإلا لكنت أنا عاطف صدقي رئيس الوزراء.

هممت بالحديث إلا أنه عاجلنى بابتسامته الساخرة القائلة:

- لا مؤاخذة يا بيه.. أصل الصنارة غمزت.

لم تكن الصنارة أصلا فى الماء.. لكنه كان يمهد الطريق للتخلص من هذا المدعى الذى هو أنا فى نظره.. نظرت إلى محمد كان

يـــنظر لى بوجه اكتسى بالإشفاق.. أحسست بثقل جسمى وأنا أقوم وكأنى منسحق تحت صخرة هائلة يحاول رفعها.. لكنه لم يرحمنى قـال لى فى سخرية مريرة:فرصة سعيدة يا افندم.. تبقى تشرفنا فى مجلس الوزرا.

تجاهلـته ومضـيت نحو مقعدى متثاقلا.. بلغته بصعوبة.. رميت بصـرى نحـوه لأجـده يواصل قراءة (موضوعى) وابتسامته الســاخرة لـم توئد بعد.. قتلنى التفكير فيما يجول بخاطره نحوى الأن. تشـاغلت بالنظر ألى الماء.. دوت من بعيد صيحات غريق يطلب النجدة.. تدافع كثيرون لإنقاذه لكن أحدا لم يقترب نحوى.

أحسست أن يدا ما تحاول الأن أن تنتشلنى من لجة ما أنا فيه الأن التفـت لأرى يـد محمـد على كتفى وحنان الدنيا يشع من وجهه الأسمر الملائكى، نظرت نحوه مصطنعا إبتسامة باهتة لكنه بذكاء الصغار كان يفهمنى..

مد يده الأخرى بالكيس المملوء بالسمك قال كأنه يراضينى:

- كـيس السـمك ده عشانك يا عمو.. عايزك تشويه وتدعى لى وأنت بتاكله.

هممـت بالـبكاء.. كان حنانه أقوى من أن يحتمل.. لكنه اقترب منى.. نظر إلى أبيه ثم قال لى بصوت واثق لكنه خفيف:

- ما تزعلش يا عمو.. أنا مصدقك والله العظيم.

فـاض ماء النيل بحنانه البرئ وفاضت جوانحى بالشجن.. تناولت كـيس السـمك واحتضنته بقوة.. دوى صوت والده يناديه.. اهتز واستدار ليلبى نداه، لكنه غمزنى بعينيه وقال لي وهو ينصرف:

ـ عايز أقرا إسمك على طول يا عمو..

اهـتز كـيس السـمك فى يدى.. كان السمك لا يزال يتلوى فى جوانبه.. إحتضنت الكيس ورحت فى بكاء طويل....

الجربى رأس البر

الأحد ١٩٩٥/٩/٣

٦ أكتوبر.. مَنزَل الزمالك!

"أنا م البلد دي .. بلد أبويا وجد جدي

.. بلد أخويا وولادي بعدي"

السيد الفاضل......

أكتـــب إليك الأن من محافظتى بعد أن أنهيت توًا حديثى التليفونى معك الذي وصفتني فيه بأنني بنت ليس لديها روح أكتوبر... هل تذكرتني الآن؟

أنـــا "رانـسـيا" التـــتى حدثتك عن أبي وهو واحد ممن حاربوا فى حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣....وقد أخبرتك أنه استمر فى الجيش لمدة تســـع سنوات هى فترة تجنيده نظراً للحاجة الشديدة للقوى البشرية فى ذلك الوقت كما تعلم....

وقد قصصت عليك أيضاً بعض ما يؤلمنى.... ولن أقول بعض ما أعانـــيه لأنـــنى لا أتســـول ولا أطلب معونة من أحد أياً كان.... ولأنـــنى " وهـــذا هو الأهم " لا أتاجر بآلامى نظير شفقة أوعطف من أحد....

وإنمـــا أكتــب إليك وأحدثك فى محاولة لإصلاح هذا الوطن الذى ننـــتمى إلـــيه والـــذى يمـــنح من لا يعطونه ويمنع ما يملك عمن يمنحونه...

وقد كتبت استجابة لطلبك منى فى حديثك التليفونى معى....

فهل تذكرتنى الآن.....؟

إن مـــا سأكتبه الآن ياسيدى ليس تمرداً وإنما ثورة مكبوتة أردت أن أفــرغ شحنتها على مسامعك وقد استمعت إلى مشكورًا.... ثم نصـــحتنى بأن أكتب كل ما أشعر به فى رسالة... وهأنذا يا سيدى أكتــب وأنضــم إلـــيك وإلـــى ثورتك على الورق ضد هذا الواقع المفروض علينا.. وضد من جعلونا نعيش واقعاً كهذا...

فأنـــا ياســـيدى مؤمنة تمام الإيمان بأن الله خلق لكل انسان مكانة أعدت له فى الدنيا وعليه الرضا بها لأنه جعل الناس سواسية ولم يفرق بين أحد من خلقه...

فهناك من منحه الله سعه الرزق وبسطة العيش... ولكنه حرم من نعمة ما كالسعادة مثلاً.... فى حين أن هناك من حرم سعة الرزق أويعد من فقراء المجتمع الذى يعيشه ولكنه يرفل فى السعادة.....

وهكـــذا حكمـــة الله فى خلقه... وهذا هو المثال الذى نسوقه دائماً لكى نهدئ من روع أنفسنا اذا ما بدت بادرة للتمرد على قضاء الله وقدره...

كـــل ذلك ياسيدى أنا مؤمنة به.... ولكن ما أعجز عن الايمان به أو حتى تقبله هو أن يجنى أحد ثمرة كفاح الآخرين بل ويتلذذ علناً بمذاقها الطيب فى حين حرموا هم منها.... وهذا ما يحدث حالياً.. فســـيناء التى حررها أبى وأمثاله ودخلها محارباً مقاتلاً صار الآن عاجـــزًا عـــن دخولهـــا ســـائحا يقيم فى " لوكاندة " صغيرة ربع نجمة.... وليس حتى نجمة واحدة....

لأنـــنا.. كمـــا أخبرتك- نعيش فى وطن يمنح من يمنعون عنه... ولـــيس هذا حالى فقط وإنما- من خلال ما قرأت وتابعت- وجدت أن هذا حال كثيرين....

فالجـــزاء الـــذى ناله أبى ياسيدى نظير تسع سنوات من أخصب فترات عمره كان شهادة تقدير...

وقـــد كـــان أبـــى يعـــتز بوجودها ويصر على أن تظل معلقة فى الحجـــرة الـــتى نســـتقبل بهـــا الضيوف... وهى بالمناسبة أنتريه متواضـــع وليســـت صالوناً على الرغم من شهرة محافظتى التى طبقت الآفاق فى صناعة الأثاث....

وذلـك حتى يراها كل من يزورنا ويراها كل خاطب يتقدم لاحدى بناته....

نعـم ياسيدى كان يعتز بها وهذا حق له لا ينكره عليه أحد.... فقد كـان يعتـبرها دلـيلا على رجولته وقوته وشجاعته ونضاله فى حربين من أهم الحروب التى خاضتها مصر.... والتى قادتها عام ١٩٧٣م إلى نصر لا زلنا نعيش عصره....

نعم ياسيدى أقول كان يعتز وأصر على تكرارها لأنه أصبح الآن لا يهتم حتى بالسؤال عن مكانها بعد أن رفعناها من فوق الجدار.. لـيس سهوًا منه أو غفلة وإنما لأنها فقدت معناها وقيمتها ولم تعد تدل على ما كانت ترمز إليه فى السابق من قوة وهو يرى نفسه " عاجزًا " على حد تعبيره- عن توفير مأوى أخر لنا بدلاً من شقتنا الـتى يتسـاقط المطـر متسللاً من شقوق سقفها فوق رؤوسنا فى الشـتاء... بل وفى الصيف أحياناً ينزل الماء الذى تشربه السقف واحتفظ به أثناء الشتاء....

نعم يا سيدى فقدت شهادة التقدير حتى صلاحيتها لدى من منحوها لـه حيـن وجد نفسه عاجزاً عن تسوية معاشة لأنه وجد أن هذا المعاش سيكون فى حدود ٧٠ جنيه على الأكثر لأن عمره ما زال ٥٢ سنة.... " هذه سن صغيرة بالنسبة لهم "...

نعـم يا سيدى فقدت شهادة التقدير أبسط ما ترمز إليه وهو عودة ملكية الأرض لأصحابها... أتدرى لماذا.... ؟

لأن أبـى عـندما أراد الذهاب لأرض القمر- والتى دخلها عندما كانـت خـرابة- بعد أن سمع عن التطورات التى حدثت وتحدث بهـا- فى رحلة قصيرة لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر فى أجازة أحد الأعياد... لم يستطع....

لـيس لأنه لم يك يملك ما يدفعه اشتراكاً نظير قيامه بهذه الرحلة.. " فحاشا لله أن أنكرنعمة ربى".. وإنما لأنه وجد نفسه أمام خيارين إمـا الرحلة أو توفير المبلغ لمصروفات التيرم الثانى بكليتى وقد "حسـبها كويس" على حد تعبيره- وقضى الأجازة فى البيت.... " على الأقل أهو معانا " كما قال-.....

قـد يقـول البعض أننى مستورة للغاية أو من الأثرياء بالنسبة لهم لأنـنى أجـد مـن يوفر لى مصرفات دراستى بدلاً من أن أعمل بنفسى لتوفيرها.

وأقول لهؤلاء:... نعم ليس من حقى أن أشكو وأنا بالفعل لا أشكو قلـة المـال أو شدة الحاجة وإنما أنا صاحبة قضية يشاركنى فيها آخريـن كثـيرون.... ولئن شكوت فإننى أشكو ألماً أعانيه يعانيه غـيرى حين وجدت أبى عاجزاً عن رؤية الأرض التى دفع ثمن

حريتها هو وأمثاله من عمرهم..... فى حين يستمتع من حاربوهم طاردين إياهم منها ومحرريها من براثنهم بها وبتأشيرات دخول رسمية سليمة تباركها الحكومة بدعوى السياحة.... نعم يا سيدى هناك ألم شديد أعانيه عندما أجد أن مجهودات أبى وغيره ضاعت هباءاً.. ليستفيد منها من لايعرفون عن كلمة ٦ أكتوبر شيئا سوى أنها اسم لكوبري به منزل شهير يقودهم الى الزمالك حيث منازلهم العامرة بخيرات الله .

نعم يا سيدى أنا لا أتسول طالبة شيئاً أياً كان سوى رد كرامة رجال أهدرت فى زمن السلم وليس فى زمن الحرب.... وبيد من ينعمون بحرية دفع أبى وأمثاله ثمنها....

نعم أنا مستورة والحمد لله – وسأظل أؤكد هذا– ولكن على حساب من ....؟

على حساب صحة أبى وعمره لأنه لا توجد أمامه بدائل أخرى...

لن أصف لك ياسيدى حالته الصحية وما يعانيه لأننى كما قلت لا أتسول ولا أطلب شيئاً....

وأنما سأخبرك باكتشاف آلمني للغاية .. وهو أننى وجدت نفسى مؤخراً لا أشعر بالفخر إزاء ما فعله أبى...؟ أتتصور هذا... تسع سنوات قضاها فى حربين هددتا حياته شاباً صغيرا وخرج منها

شاباً ناضجا فى الثلاثين من عمره تقريباً دون إعاقة جسدية ظاهرة للعين " لا شئ " سوى قرحة معدة من هول ما عاناه فأبى يا سيدى وغيره كانوا يضطرون لشرب البول ارواء لظمئهم... بل أنه سار ستة عشر يوماً كاملة حتى يصل إلى مكان آمن فى نكسة ٦٧ بعد أوامر الانسحاب....

بل وشاهد بعينه أحد زملائه يموت ويطلب منه وهو بين الحياة والموت أن ينهى أبى آلامه برصاصة لأنه " ميت ميت " فعجز أبى عن ذلك....

وما هى إلا لحظات حتى دهست دبابة ما تبقى منه وأنهت آلامه....

أتخيل يا سيدى كيف كان سيصبح حال هذا وأمثاله لو كان ظل على قيد الحياة باعاقة ما .....

نعم يا سيدى لا أشعر بالفخر.. أو لم أعد أشعر بالفخر...

أتدرى لماذا...؟....

لأننى لا أجد من يشعرنى بأن ما فعله يستحق الفخر... فى حين أجد الفخر كل الفخر بأصحاب السيارات الفارهة والأموال المجهولة المصدر التى تبعثر هنا وهناك فهؤلاء فقط يا سيدى هم من يمنحهم وطنى أعز ما يملك ويذلل لهم كل صعب ويبذل لهم

كـل غـال فى حين أن هؤلاء يبخلون بأبنائهم على هذا الوطن- الـذى أعطاهم كل شئ- فى وقت السلم فما بالك لو كنا فى وقت حرب...

نعـم يا سيدى لا أشعر بالفخر.. وكيف أشعر به أبى مطالب بأن يقوم باجراءات مهينة فى المكاتب الحكومية إذا أراد مثلاً الحصول علـى شقة تناسب امكاناته بدلاً من شقتنا التى توشك على الانهيار لولا رحمة من ربى...

أو علـيه مـثلاً أن يناشد احدى المسؤلين عبر احدى الصحف أو الـبرامج الاذاعـية أو التليفزيونية مطالباً بحجرة وصالة متاجراً بتسع سنوات بطولة حتى يمن عليه أحد المسؤلين....

مـع أن هؤلاء وأمثالهم هم من منحهم أبى وأمثاله حريتهم ودفعوا ثمنها إما عمرهم أو من عمرهم....

فهل يعترفون بذلك بصدق ولو بين أنفسهم...؟

أشك...

نعـم يـا سيدى لم أعد أشعر بالفخر الذى كنت أحسه فى الماضى كلمـا كـان يقـص أبـى على مسامعنا ذكريات الحرب والنصر وخاصـة أنـه كـان ضـمن قوات العبور حيث كان قائد احدى الدبابات....

أتدرى لماذا يا سيدى...

لأنـنى صـرت أعتـبر تلك المشاعر الصادقة ما هى إلا مشاعر "عبـيطة " لطفلة صغيرة كانت تظن أبناء هذا الوطن الذين دافعوا عنه أبطالاً فى نظر الآخرين كما كنت أرى فى أفلام السينما....

فكنـت أسير بجواره فى الشارع وأسرح بفكرى وأتصور أن كل من يصافحهم ويلقى عليهم التحية إنما يردون سلامه وتحيته علماً مـنهم بما فعله من أجلهم ومن أجل هذا الوطن.... كنت أتصور هـذا إلـى أن بـدأت أكبر قليلاً وأشارك أسرتى الصغيرة بعض أحلامها الصغيرة أيضاً وآلامها الكبيرة فى مواجهة ظروف الحياة المختلفة...

نعم يا سيدى كنت أتصور ذلك إلى أن اكتشفت أن هؤلاء الأبطال - الذيـن تصورهم لنا السينما على أنهم كذلك- يعملون عند علية القوم الذين ضنوا على هذا الوطن بأبنائهم الذين هم أبناءه أيضاً.

فتخـيل يـا سـيدى كيف يكون شعورك عندما تجد أن من منحوا هـؤلاء حريـتهم يعملون تحت امرتهم بل وفى مهن لا تليق لدى هؤلاء....

أتراك لا تزال تتساءل بعد كل هذا لماذا لا أشعر بالفخر..؟..

ملحوظـــة:- رجـــاء نشر اسمى كالآتى: (" داليا أحمد محمد "- دمياط) فقط.....

ورقم التليفون لديك أو لدى كل من يريد الاتصال بى من جريدتكم فقط.. إن أراد أحد ذلك..

وشكراً لصبرك إن قرأت رسالتى حتى النهاية.

الصخره والطحالب

"تذكرت والذكرى تضر بذي الهوى

..ومن حاجة المحزون أن يتذكرا"

مــن فوق صخره منعزله على شط "ستانلى" تستطيع أن تفهم الحياه أكثر، تستطيع أن تدرك قدرتك على مواجهه الغدر والجفاء والوحــده وقسوة القلوب وخيبه ألآمال وظلام الواقع ،تماما مثلما تفعــل هــذه الصــخره- التى تجلس عليها- وهى تواجه كل يوم المــوج والــريح والليل والبرد والملح، عليك فقط ان تتوحد معها فــيكون لــك قلــب قد من صخر ،وعندها ستعيش- والتعبير هنا مجــازى فالصخور لاتعيش- وتموت شامخا دون تفريط فى شئ ،والضريبه التى تدفعها غير أنك ستعيش "صخر" وتموت "صخر" هى أنك ستتآكل يوم بعد الآخر ، تماما مثلما تتآكل هذه الصخره- التى تجلس عليها- بفعل مطارق الموج والملح.

مــن فــوق هذه الصخره ستفهم أن بحر الحياه قد يصفو لك حينا ،فــتأخذ أمواجــه الوديعــه فــى التراقص تحت قدميك وتداعب "تــآكلاتك" الــتى صنعتها هى بنفسها ،وتغمر الطحالب المتناثره أمــامك بــرفق وكأنها تمسح شعرها وتطبطب على ظهرها على

ظهرها اعتذارا عما فعلته بها ، ولأن الطحالب من الحياه ، والأحياء أغبياء ، فهى تصدق لكنك صخر عليك أن تدرك أن تلك الوداعه والحنان سينقلبان عن قريب عاجل غدرا عاصفا لايرحم، عندها ستكون وحدك المتأهب المستيقظ- والتعبير هنا مجازى فالصخور شامخه شموخ الموت لاشموخ اليقظه، من فوق صخره ستانلى ستجد وأنت تتفرس فى وجوه من حولك زملاًء لك "صخريين" جاءوا هنا يوما "أزواجا قبل ان يعودوا كما خلقهم الله أول مره "فرادى" أو قل إن شئت الدقه جاءوا وهم "طحالب" قبل أن يتحولوا إلى "صخور" بالمناسبه المحبوبات يتحولن أيضا إلى صخور ،لكن يتم معالجتهن كيميائيا ليصبحن قطعا من "السيراميك" الاستيلو بتشديد اللام، ليزينّ الشقق الفاخرة من غير تشديد اللام.

من (داخل) صخرتك المنعزله ستسمع أصداء ضحك العشاق الملتصقين وهم يضحكون على "المجنون الذى لا يخاف الموج والبرد ويجلس ليغنى وحيدا فوق تلك الصخرة"، وسترثى لهم أنهم لايعرفون من تكون ، وستعجب من حال الدنيا التى صفق أهلها يوما عندما اكتشف أحدهم سر تحويل الصخور إلى ذهب ، وأنت لا يصفق لك أحد وأنت مكتشف سر تحويل القلوب إلى صخور .

ملاحظة للقارئ الغبي فقط: السطور التالية ليست قصة

بين "رجلي" الكتاب

لاتستغرب هذا العنوان ولاتظن بي السوء لاختياري له ، فما اخترته إلا لأني وجدته موافقا لمقتضى الحال ، فقد جرت عادة الكتاب أن يضعوا لمقدمات كتبهم عنوانا يطلقون عليه (بين يدي الكتاب)، وهو ماكنت سأفعله لو كنت نشرت هذه الكلمات في مقدمة الكتاب، بالمناسبة فكرت أن أضع لهذه الكلمات عنوان (مؤخرة) على عكس عنوان مقدمة طبعا، وهو العنوان الذي كان يختم به كتبه الناقد العبقري الراحل سامي السلاموني، لكني وجدته عنوانا مبتذلا فاخترت عنوانا أكثر ابتذالا هو (بين رجلي الكتاب).

قال لي صاحبي وهو يحاورني: ألن تخجل من نفسك عندما تكبر ابنتك وتقرأ الابتذال الذي تكتبه، قلت له : سأخجل من نفسي فعلا لو فشلت في تربية ابنتي ومنعها من ممارسة عادة سيئة كالقراءة خربت بيت ابيها وجابت له وجع الدماغ.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: جرت العادة أن يلجأ من أدركتهم حرفة الأدب في أعمالهم الأولى الى كبار النقاد والكتاب ليقدموا أعمالهم الى القراء ويزكوها لهم بأن يكتبوا عنها دراسة تبين مواطن الجمال فيها وتصف مدى انبهارهم واستمتاعهم بما قرأوه وأملهم في أن يشاركهم القارئ بهذا الانبهار وذياك الاستمتاع.

قلت له: أنني فكرت في ذلك فعلا وكان لدي أكثر من إسم أدخره لمثل هذا الغرض لكني اكتشفت أنه لن يستطيع أحد أن يجاملني مثلي ولن يستطيع أحد أن يصف للقارئ مدى انبهاره واستمتاعه بماكتبت سواي،وأنا أقدر من غيري على عمل دراسة تبين مواطن الجمال بل ومواطن القبح في ماأكتب، ولولا أنني مشغول بدفع هذا العمل الى المطبعة لكتبت عنه دراسة ضافية تضعه في مكانه الصحيح في حركة الأدب العالمي وهي حركة قرعة في أيامنا هذه قلما تنتج عملا كالذي بين يديك أو فوق رجليك الآن.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: هل جننت وأخذ بك الهزل مداه لتقول كلاما تافها كهذا، قلت له: لست بالهازل ولا المجنون، فماأنا الا نتاج لعصري وتقاليده، وفي عصري هذا رأيت كتابا يشار لهم بالبنان ــ بينما كتبهم تستحق أن يشار لها بالوسطى ــ يكتبون كتبا رديئة ويقومون باهدائها للصحفيين والكتاب مشفوعة بعروض

صحفية وكلمات مختصرة لكي لايبذل الكتاب والصحفيين مجهودا في إعداد مواد عنها للنشر بل يقومون بنشر مايصلهم مع هذه الكتب، وعندما استنكرت مثلك مايفعله هؤلاء وجدت ردهم منطقيا إذ قالوا أنهم ككتاب يواجهون أزمة عدم قيام الكتاب والصحفيين بقراءة الكتب التي ترسل لهم لأنهم بدورهم يعانون من أزمات في الحياة تجعل القراءة آخر مايمكن أن يقوموا به، وبالتالي فإن الصحفي أو الكاتب يظلم كتبهم بركنها على مكتبه حتى يجد وقتا لقراءتها وكتابة عرض صحفي عنها، ولذلك فإن مايفعله الكاتب بعمل عرض عن كتابه يقدم به خدمة لكتابه ويساعد على وصوله الى القارئ، أي أن الكاتب يلعب في نفس الوقت دور الناقد ودور الصحفي وأحيانا دور القارئ، أليس هذا يحدث الآن فلماذا تستكثر على صديقك أن يقدم نفسه للقراء، اليس هو الأولى بلحم قرائه، ثم لماذا يورط معه شخصية عامة لتقدمه للناس وتجامله دون أن تقرأ قصصه لمشغولياتها المتعددة فتنصب لعنات القارئ عليها إذا لم تعجبه القصص وهو احتمال قائم إذا كان قارئا لايفهم وليس عنده نظر ولايتذوق الأدب الرفيع، من الأولى أن تنصب عليه هو اللعنات لأنه شال الليلة كلها، ثم قل لي ماالذي سيقوله من يقدمني للقراء، هل سيقول لهم أنني مفاجأة وأنه لم يكن يتوقع أن أصل في

كتابتـــي الى هذا المستوى المعجز في الكتابة، طيب أستطيع أنا أن أقول هذا دون أن يشيلني أحد جميلا، هل سيقول أن دلالات النص عندي تصل الى مستوى من البيوريتانية لم يتكرر كثيرا في السرد العربي لعذوبة النص وشفافيته وقدرته على دمج اليومي بالسنوي بالموروث الحكائي، أستطيع أن أخبط لك دراسة مليئة بهذا الهذر الذي يملأ مقدمات الكتب العربية كل يوم لكنني لاأتوجه الى قارئ يهتم بكلام من هذا النوع.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: إذن الى اي قارئ تتوجه؟ ، قلت لـــه : الـــى أي قـــارئ يستطيع دفع ثمن هذا الكتاب بدلا من أن يشـــتري بـــه شيئا ينفعه أكثر، أو ربما لأنه لن يستطيع بثمن هذا الكتاب شراء شيئ ينفعه أكثر، فلن يستطيع بثمنه سوى أن يشتري ســـندوتش شاورمة ونصف ـ كومبوـ ولن يشبع من ذلك ، ولن يســـتطيع قطع تذكرة سينما في دار عرض محترمة، ولن يستطيع الجلـــوس في كوفي شوب محترم، ولن يستطيع قضاء ساعة حرام مـــع بائعة هوى محترمة، ولن يستطيع شراء كتاب لمحمد حسنين هـــيكل أو ديوان لمحمود درويش أو رواية لماركيز، ولن يستطيع شـــراء تـــي شـــيرت شيك إلا من وكالة البلح، بالتالي فشراء هذا الكـــتاب أجدى وأهدى سبيلا، على الأقل اسمه اشترى شيئا يورثه

لأولاده لكي يقولوا يوما "أبونا كان مثقف وكان عنده دولاب مليان كتب".

قـــال لـــي صاحبي وهو يحاورني: سيبك من الهزار وقل لي لأي قارئ تحلم أن يصل ماتكتبه ؟ قلت له : أنا على عكس كثيرين من الكـــتاب أعـــرف قارئـــي جيدا لأن القارئ الذي أتوجه اليه قارئ شـــبهي ، يحب اللك ويعشق الاستطراد، ليس لديه مايخسره وليس عـــنده مايكسبه، يعشق البذاءة ويكره تربية أولاده عليها، متناقض متـــناقص لايغسل يديه قبل الأكل بل بعده فقط، يؤجل الذهاب الى الطبيـــب إلا عـــند فوات الأوان، يحب تقليب المواجع على نفسه ويمـــوت فـــي الســـخرية من نفسه الأمارة بالحزن، لايحب قراءة الدراسات النقدية ولا الأعمال الأولى للكتاب، ويفضل مشاهدة فيلم جيد على قراءة كتاب غير مضمون المستوى، قارئ يحب الكتاب الذيـــن يضـــعون فـــي كـــتابهم صـــفحات كثيرة تعرفهم بالكاتب وتســـتعرض انجازات الكاتب ومناصبه واسهاماته في الحياة حتى يحســـوا أنهـــم لـــم يأخذوا مقلبا عندما اشتروا كتابا كهذا ، ولذلك ســـأفعل هذا في كتابي هذا وسأستعرض كل عضلاتي على القراء وســـأكتب لهـــم صـــفحات مطولة عن مشواري الحافل في الحياة وأشـــعرهم بأننـــي أحســـن منهم بألف مرة وأنهم لابد أن ينسحقوا

أمامي وهم يقرأون لي فيعتبروا كل ماأكتبه تحفة أدبية لأنها صدرت عن شخص قام بأشياء لايقدرون على القيام بها، هذا ياصديقي هو القارئ الذي أتمنى الوصول اليه وإذا نجحت في الوصول إليه فلست أطلب فشلا أكبر من هذا.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لماذا تكتب؟، قلت له : لأن أهلي فشلوا في تعليمي صنعة أخرى تدر دخلا أكبر ولأن مجموعي لم يؤهلني لدراسة هندسة البترول. قال لي: هذه إجابة عبثية لاتتصور أنها مضحكة، قلت له: وهكذا هي الحياة أيضا فلماذا أنت زعلان. هل تريدني أن أقول لك أنني أكتب لأن الكتابة هي البديل عن الجنون، ولأن الكتابة هي السبيل الوحيد للاستمرار في الحياة، ولأن الكتابة تصيب المرء بالسعادة، ولأن الكتابة هي التي تغير الحياة، وماإلى ذلك من الكلام الكبير الذي يقوله الكتاب عن كتابتهم، من الممكن أن أريحك لكني لاأحب أن أغشك ولذلك قلت لك الحقيقة، فأنت تعرف أن أغلب الكتاب غير أسوياء عقليا ونفسيا أي أن الكتابة ليست بديلا عن الجنون بقدر ماهي سبيل الى الجنون، وأنت تعرف أن الكاتب لايموت عندما يتوقف عن الكتابة بل يموت عندما تخبطه عربية أو تقع به بلكونة أو يأكل أكل السوق يعني باختصار عندما يجيئ أجله، وأنت تعرف أن الكاتب

الحقيقي يحزق في الكتابة حزقا لاتقوم به سيدة تعسرت ولادتها وأن عملية الكتابة مؤلمة و"مؤرفة" وليس بها أي قدر من السعادة ولايمكن أن يكون هناك من يكتب وهو سعيد بأنه يكتب إلا إذا كان كاتبا تافها لاقيمة لما يكتبه، وأنت تعرف أن الكتابة لاتغير الحياة لأن الكتابة شغالة على ودنه من يوم بدء الحياة والحياة لاتتغير الى الأسوأ، إذن عليك أن تحترم شجاعتي حتى لو لم تعجبك.

عدوي القارئ .. أخاطبك هكذا بصراحة لأنني لاأحتاج لنفاقك كما يفعل الكتاب الذين يخاطبونك كذبا وزورا بقولهم "عزيزي القارئ"، ولست أصفك بالعدو لأني أحمق أو غاوي جر شكل بل لأنني أجد هذا التوصيف المنطقي والسليم الذي تفرضه العلاقة بين الكاتب والقارئ، فلو كان القارئ عزيزا لما تشوق الكاتب لمعرفة رد فعله على مايكتب ولما عاش كل هذا الخوف والقلق وهو ينتظر ردود الأفعال على عمله، هذا الخوف وذلك القلق وذياك الترقب لايصدرون عن الإنسان الطبيعي إلا وهو يتأهب لمواجهة عدو يخافه ويرهبه ويتأهب للقائه، سيقول لي قائل لكن الإنسان يشعر بهذه المشاعر وهو يتأهب للقاء حبيبه، وسيظن أنه غلبني بهذه الحجة التي تبدو منطقية، لكن ردي بسيط: ومن قال

لك إن الحبيب ليس هو الآخر عدوا، ألا يأكل الروح ويحتل الوجدان ويشغل البال ويلخبط الحياة ويجيب عالي النفس واطيها، وهل يفعل العدو ماهو أكثر من ذلك. أرجع مرجوعي لأقول لك أنني آسف على كل الكلام الذي قلته آنفا عزيزي وحبيبي القارئ فأنا بجد متشوق لمعرفة رأيك في ماكتبته ونفسي بجد أن يكون قد أعجبك وأن أكون قد رسمت شيئا ما على أي حتة لديك فكما تعلم ليس لي بركة إلا أنت وتستطيع أن تعتبر كل الكلام السابق الذي يفتقر الى الذوق واللياقة مجرد تخريفة أنت أوسع من أن تكون ضيقا وتقف عندها طويلا.

ولأنني من زمان أحلم باستخدام تعبير كنت أقرؤه كثيرا هو تعبير "بين ضفتي الكتاب" فإنني أحب أن أقول لك أن كل ماتقرؤه بين ضفتي هذا الكتاب تهيبت نشره طويلا ربما لأنني كنت أعاني خلال عملي بالصحافة من عقدة نظر القراء وخصوصا المثقفين منهم الى الصحفيين بأنهم يحاولون أن يضعوا على كتفهم شريطة بكتابة الأدب أو مايعتقدون أنه الأدب، ثم عندما تركت الصحافة وعملت في السينما صارت العقدة بشنيطة فكتاب السيناريو ينظر اليهم دائما على أنهم يحاولون كتابة الأدب لأنهم في داخلهم لايكنون الإحترام الكافي لمهنتهم، وبعد تردد طويل قلت لنفسي

ملعون أبو دول على أبو دول سأنشر ماكتبته وخلاص واللي يحصل يحصل.

ستسألني أين ذهب صاحبك الذي يحاورك، سأقول لك أنه دخل الى دورة الميه وعاد ليسألني: لكن القصص التي تنشرها هنا غير متجانسة في نوعها بل من الممكن اعتبارها خليطا متنافرا بعض الشيئ، قلت له: كل مايهمني أنني أعتقد في داخلها أنها قصص لأن القصة في تعريفي الأهبل المتواضع هي أن تحكي حكاية ما بأسلوب فني ــ ألم أقل لك أنه تعريف أهبل ــ فإذا قرأ القارئ قصة ما في هذا الكتاب وأحس أنها فعلا قصة مثلما أحسست أنا فله جزيل الشكر والتقدير، أما إذا رأى غير ذلك فماذا سأفعل له، نصيبه بقى، من حقه أن يقوم بإرجاع الكتاب الى البائع قائلا له أنه لقى جواه قصتين أو تلاته هم مش قصتين أو تلاته، وسأترك حقي في الرد عليه لعزيزي البائع.

منذ سنوات بعيدة وأنا أتمنى أن أمتلك شجاعة صاحب محل كشري في شارع حسين حجازي المتفرع من شارع القصر العيني والكائن وراء مجلس الوزراء خبط لزق، وجد الرجل نفسه وقد وقع محله بين داري نشر علقت إحداها لافتة كتب عليها دار الإعتصام للنشر والتوزيع وعلقت الدار الأخرى لافتة كتب عليها

دار الفكر للنشر، فقام بائع الكشري بتعليق لافتة على محله كتب عليها (دار البرنس للمكرونة)، منتهى الثقة بالنفس والفخر بما يقدمه وعدم الإنسحاق المكروني أمام الكتب والنشر والثقافة. هل فهمت ماأقصده عزيزي القارئ، لو لم تفهم فليس ذلك مهما لأنني نفسي لست متأكدا ماإذا كان هذا الإستشهاد له علاقة أساسا بما نرغي فيه الآن سويا. لكن على أي حال أتمنى أن تكون قراءة ماكتبت هنا أو بعضه على الأقل لذيذة بالنسبة لك كلذة طبق كشري بالكبدة خالي العدس ورد زيادة دقة زيادة من عند كشري الصاروخ في محطة مصر بالإسكندرية أتمنى أن تكون قد أتيحت لك الفرصة بزيارته.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لعل أسخف مافعلته في مجموعتك هذه هو إصرارك على نشر هذه السطور في نهايتها، طلبت منه أن يتذكر ماقلته له في بداية حوارنا وهو ما لن أعيده له ولك ثانية، وقلت له أنني أعتقد أن هذا رأيه الشخصي الذي لايعنيني لأنني أعرف أن هناك آخرين يعتقدون الآن أن أسخف مافعلته في مجموعتي هذه هو نشري لها، ولعل أخشى ماأخشاه هو أن أشاطرهم يوما ما هذا الرأي.

لكي نكون واضحين معا منذ البداية أؤكد لك عزيزي وحبيب قلبي القارئ باشا أنني لاأضمن لك شيئا إذا قرأت هذه المجموعة، كان بودي أن أقول لك أن هذه المجموعة ستصيبك بالسعادة أو بالنشوة أو بالبهجة، فما يدريني أنك كئيب المزاج أو سوداوي المشاعر أو سيكوباتي النزعة، فما سينتج عن قراءتك لهذه المجموعة يتوقف عليك أولا، هل أنت ابن حلال وعايز تنبسط، هل أنت ابن ... حلال برضه وعايز تطلع القطط الفطسه فيما تقرأه لكي تشعر أنك أفضل من الكاتب وأن الشيئ الوحيد الذي ينقصك لكي تكون كاتبا هو أن تكون فاضيا زي الكاتب الذي خدمته الظروف ووجد وقتا للكتابة.

ماأضمنه لك هنا هو أنني بذلت مجهودا كبيرا في كل ماكتبته، ترددت ألف مرة قبل أن أنشره، ولعلك تلاحظ أن أغلب القصص مر على كتابتها ردح من الزمن حاولت خلاله أن أعيد كتابة أغلبها وأن أمزق بعضها وأن أتخذ قرارا بعدم كتابة هذه السطور وأن أتوقف عن نشرها بالمرة لكن أهوه آدي اللي صار وآدي اللي كان. وهاهي المجموعة بين يديك الكريمتين وهاأنا ذا أنتظر رأيك الكريم بفارغ الصبر، شوف حكمة ربنا لما يحوج الإنسان للإنسان. على أي حال أريدك عزيزي القارئ أن تدرك جيدا أنني

أنتظر رأيك لمجرد العلم بالشيئ ولأن عملي في كل من الصحافة ثم في السينما أكسبني خصلة شديدة السوء هي الحرص على معرفة رأي القارئ أو المشاهد، وإذا كان ذلك ضروريا وصحيحا في كل من المجالين خاصة أنك تقبض أجرك من جيب القارئ أو المشاهد ولذلك فنجاحك متوقف على رأي سعادته. لكن هذه المرة الأمر مختلف لأن الكتاب زيه زي البطيخة قد تصيب في قرار شرائه وقد تخيب، وفي كلا الحالتين تكون قد اشتريته أو بمعنى أصح شربته. على العموم أنا مواطن صالح مثلك في محصلة الأمر وأعلم جيدا أن الجنيه أصبح عزيز قوي لذلك فأنا أتمنى لك من كل قلبي أن تشعر بأنك أصبت، على الأقل لن أشعر بالذنب تجاه أولادك وأهل بيتك أو حتى تجاهك إذا كنت سيئ الحظ ولم تتزوج أو تنجب. أما إذا شعرت أنك أخطأت فأرجوك لاتتهمني بالغش لأنني على حد علمي وفي حدود ماقرأت أعتقد أنني الكاتب الوحيد الذي امتلك مايمكن أن تسميه الشجاعة ــ أو الوقاحة لو أحببت ــ التي جعلته يصارح قارئه إلى هذا الحد بأنه لايضمن له نتيجة مايقرأه وأن الأمر فيه مخاطرة عليه أن يفكر فيها جيدا، يعني أنا عملت اللي عليا وعداني العيب وقزح. على أي حال أعتقد أنك إذا وصلت إلى إحساس خيبة الأمل فإنك ستقوم

بمراجعة نفسك وإعادة قراءة المجموعة مرة أخرى لكي تجد فيها مايعجبك ويحلل ثمنها فأنا وأنت نعلم أن الإنسان حيوان تبريري بطبعه وهو يبرر لنفسه دائما وقوعه في مطب قراءة الأعمال الرديئة ومشاهدة الأفلام البشعة بأنه لابد من خوض مثل هذه التجارب لكي يكون الإنسان مطلعا على كل شيئ حوله، وإذا كنت عزيزي القارئ من هذا النوع الذي يشبهني فقد أرحت ضميري بل إنك أثلجت صدري كمان لأنني أصبحت متأكدا أنك ستشتري مجموعتي التالية أيا كان رأيك في الأولى فأنت من يطلق عليه الكتاب والناشرون عادة لفظ " زبون" فأهلا بك وسهلا. أما إذا كنت قد وصلت إلى رأي قاطع وحاسم بأنني كاتب حقير لايستحق أن تقرأ له عملا آخر فدعني أقول لك الآن وقبل أن يتم نشر مجموعتي التالية لأنني لم أكتبها بعد أنك أضعت فرصة طيبة على نفسك بسبب قرارك العنيد، لأنني متأكد تمام التأكد أن مجموعتي التالية ستكون أفضل من مجموعتي هذه، لاتسألني لماذا أنا متأكد فالأمر يطول شرحه أو بمعنى أصح لايمكن شرحه، عليك أن تقبله أو ترفضه، إذا قبلته فأنت الكسبان وإذا رفضته فالحق مش عليك، الحق عليا إني عملت عقلي بعقلك وكتبت لك كتابا مثل هذا وهاأنت طلعت من اللي مابيطمرش فيهم، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

تعريف بالكاتب .. قراءته إختياري مش إجباري:

من باب الفشخرة

ـ ولد بالقاهرة في عام ٧٤ في حي منشية البكري

ـ نشأ وترعرع في أسرة مفككة وعاش طفولة حقيرة ومراهقة ضائعة ولايفهم حتى الآن كيف خرج منهما على خير

ـ جاب اتنين وتمانين في المية في الثانوية العامة .. علمي هه.

ـ تخرج من كلية الإعلام جامعة القاهرة قسم الصحافة وكان الأول على الدفعة .. واخد لي بالك .. لكنه لم يلتحق بالسلك الجامعي والحمد لله

ـ عمل لفترة عام في مجلة روز اليوسف ثم حصل على فرصة ذهبية أعطاها له مشكورا مأجورا الكاتب الشاب اللامع الموهوب ابراهيم عيسى عندما عينه سكرتيرا لتحرير جريدة الدستور وهو لم يتجاوز العشرين من عمره وعمل فيها حتى تعطيل صدورها في عام ٩٨، وبعد فترة من البطالة قام بالكتابة في عدة مجلات وصحف منها المصور والكواكب وصباح الخير والهلال ووجهات نظر والإتحاد الإماراتية والشرق الأوسط والوسط ولها والأسبوع والعربي وأشياء من هذا القبيل وخلافه، في عام ٩٩ عمل مديرا لتحرير جريدة الجيل القاهرية التي كانت تجربة صحفية واعدة لكن أهوه اللي حصل، المهم أنه تركها بعد فترة أربعة أشهر بسبب خلافات مع الناشر ليعود إلى البطالة ثانية

ثم يعمل فترة في العديد من القنوات الفضائية وعلى رأسها قناتي (art- mbc) ثم عمل في عام ٢٠٠٠ محررا عاما لجريدة القاهرة لمدة أربع شهور بس استقال بعدها بعد خلافات مع الكاتب التقدمي صلاح عيسى، وبعد فترة من البطالة ترك العمل في الصحافة غير آسف عليها وعمل لمدة عام كنائب لمدير مكتب تلفزيون الشرق الأوسط بالقاهرة ثم استقال بعدها في أكتوبر ٢٠٠٢ ليعود إلى البطالة بمحض إرادته ويتفرغ لكتابة السيناريوهات السينمائية عائدا الى حلمه القديم بالكتابة في السينما، ومقررا أن يعيش إلى الأبد كاتبا على باب الله يأكل من عرق المواطن الذي يدخل له فيلما أو يشتري له كتابا.

ـ له حتى الآن خمسة أفلام سينمائية هي: حرامية في كي جي تو ـ خالتي فرنسا ـ الباشا تلميذ ـ صايع بحر-أبو علي.

ـ تمكن مؤخرا من شراء جميع الكماليات بما فيها الكيتشن ماشين وكاميرة الفيديو لكنه لايمتلك شقة حتى الآن.

ـ لهواة الأبراج الكاتب من برج العذراء أو التي تقول عن نفسها أنها عذراء لأنه لم يعد شيئ مضمونا في هذا الزمن.

تجليات أدبية

عزيزتى جوليا روبرتس

أنا حزين يا جوليا.. لأننى ضائع مثلك.. أو هكذا أتخيلك.. وأنت تبحثين عن الحب فى أحضان كيفر ساذريلاند وجاسون باتريك وليل لافيت وبنجامين برات - أرأيت .. كيف أحفظ أسماء عشاقك الذين ولاتغضبى منى لن يكون بنجامين آخرهم لأنك لست مقسومة أبداً لرجل واحد.. العدل أن تتقلبى بين أحضان رجال الأرض جميعاً لينال كل منهم حظه من السعادة الحقيقية.. أما أنا فالعدل أن أتقلب بين أحضان المقاهى المسكونة بالكراهية والشوارع المزروعة حفراً ومطبات وذكريات مشى مع المحبوب والأصدقاء المهزومين المديونين الممسوخى الأرواح والصحف المصادرة والمراقبة والمرخية والبنات اللعوبات فى التلفون فقط الخائفات على الشرف والراغبات فى الستر والبلاد التى لا أفهم حتى الآن كيف نحبها كل هذا الحب أو ربما نتصور أننا نحبها كل هذا الحب.



الغلاف: أحمد اللباد



ميريت